ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 35 - العدد 1006 - الجمعة 27 شوال 1423 هـ - الموافق 31 يناير 2003

رأي شرعي في الاستنساخ

ما بعد استنساخ البشر

شيوع الزنا وعقوبته

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

تقدم الأمم يكمن في الأخلاق الحميدة

إن نشر الأخلاق الفاضلة وتركيز السير الحميدة في النشأ منذ نعومة أظافره حتى يدخل معمعة الحياة فيه ضمانة لنضج أفراد المجتمع فإذا نحن سهرنا بما لدينا من وسائل متاحة على تربية بناتنا وأبنائنا التربية المثالية فسيسود في مجتمعنا الصدق والأمانة والسلوك المستقيم وسيكون كل واحد من أعضاء هذا المجتمع مركوزا في ذهنه وتربيته وازعا دينيا وأخلاقيا يمنعه من أي عمل مشين يلاحظ عليه في معاملاته وروابطه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...

فلقد أثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أممهم لما خصهم الله به من أخلاق إنسانية مثالية ربانية فضلا منه ومنة انفطرت تلك الصفات المحمودة في خلق كل واحد منهم عليهم الصلاة والسلام بدون سابق مجاهدة الذي أعطاهم رب العزة هو جود منه واختصاص خصهم الله به ليستنير بعملهم المشرف هذا الكائن البشري وينتفع الانسان بما غرزه الله من الأخلاق الحميدة في جبلتهم عليهم السلام.

قال الله في حق عيسى عليه السلام: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾، سورة مريم، الآية:12. وقال في حق سليمان: ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ سورة الأنبياء، الآية:79.

ولقد أثنى الشرع على المتخلق بالأخلاق الحميدة ومدح الله سيد الأولين والآخرين بها فقال جل من قائل في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ سورة القلم، الآية:4.

ولما سئلت عائشة عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿كان خلقه القرآن﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾. وقال أنس: ﴿كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، يعفو عند المقدرة ويصبر على إذاية الغير له لما وهبه الله من الفضل وحسن تأديبه له قال تعالى: ﴿خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ سورة الأعراف، الآية: 199. وكان عليه الصلاة والسلام ﴿يصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه﴾، قال تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ سورة لقمان، الآية:17. وقال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر ألو العزم من الرسل﴾، سورة الأحقاف الآية: 35.

وطلب منه أصحابه صلى الله عليه وسلم أن يدعو على أعدائه فقال: ﴿إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون﴾ ولما تمكن من أبي سفيان الذي كان من ألد أعداء الإسلام ونبي الرحمة قال له صلى الله عليه وسلم: ﴿ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله﴾، فقال: ﴿بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك...﴾ والحديث بكامله أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس بسند صحيح.

وفي هذا تشريع لأمته في معاملتها مع بعضها ومع الغير المعاملة الانسانية الرحمانية، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

بقلم لارباس الشيخ ماء العينين

الأمين العام بالنيابة لرابطة علماء المغرب

المجتمع يحصن بالعلماء

نشرت جريدة الأحداث المغربية بتاريخ 18 يناير 2003 تعليقا على بيان رابطة علماء المغرب بشأن ماراج ونشر في الصحف عن محاولة قيام بعض شياطين الإنس بتجمعات لتنظيم لقاءات أصحاب الشذوذ الجنسي، وفرض واقعيته على الشباب المغربي، كثقافة وأخلاق غريبة عنه اجتماعيا ودينيا وأخلاقيا ولم يستحي كاتب التعليق أن ينعت بيان الرابطة بأنه يثير الاستغراب، ومما يفهم منه أن صاحبه يدافع عن الجماعة الشاذة الفعل والسلوك التي تناولها البيان بدون مقابل إلا مايعلمه الله من سلوكيات وأخلاق صاحب التعليق الفضيحة.

لقد حاول المعلق هداه الله في دفاعه عن الشواذ أن يعاتب مصدري البيان بأنهم لم يتأكدوا من صحة الرواية وقرأ بشأنهم قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق...﴾الآية:6 من سورة الحجرات، وقد أخطأ في كتابة الآية فوضع ﴿إذا موضع ﴿إن وهذا تبديل في القرآن مرفوض، ثم كأنه يصف الصحف التي جاءت بالخبر بالوصف الذي أوردته الآية الكريمة، ونحن نرفض هذا الوصف في حق تلك الصحف وأصحابها.

زيادة على أن البيان ورد فيه - بناء على ماذكر وباعتبار كونه صحيحا - ولعل المدافع عن الطائفة لايفهم معنى مابين السطور فأحرى ماوراءها.

ويظهر أن صاحب التعليق لا يتابع الجريدة التي تصدرها الرابطة باستمرارولا بياناتها المختلفة.

والعلماء يحمدون الله ويشكرونه عز وجل على ماوفقهم فيه عند معارضتهم لبرنامج أصحاب ﴿خطة إدماج المرأة في التنمية﴾ فقد وقف الشعب المغربي المسلم ضدها، وتصدى أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله للموضوع فسحب الملف من المتحمسين له ووضعه بين يدي العلماء والمختصين لينظروا فيه طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وماجرى به العمل خلفا عن سلف.

أما ادعاء المعلق بأن العلماء لم يتكلموا عن الفساد والرشوة فإنه يدل على أن صاحبنا لايسمع خطب الجمعة المقامة في آلاف المنابر مرة كل أسبوع يوم الجمعةوالتي يلقيها علماء المغرب وفقهائه واعضين ناصحين مبشرين ومنذرين مقيمين بذلك الحجة على المنحرفين باذلين قصارى الجهود في علاجها وهدايتهم إلى السراط المستقيم..

إن عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة طبقا للتوجيه القرءاني ومحاربة الفحشاء بالتشهير بمن يمارسوه ليس تركيزا على الشكليات كما زعم صاحب التعليق، ولكنه جهر بالحرب على الفساد ظاهره وباطنه وتنبيه لأولياء الأمر إلى مايجب في حق الأمة المغربية المسلمة من تصدي للمنكرات وغلق للأبواب التي تدخل منها شرقية كانت أو غربية، ولا حق للإنسان في نشر المنكر فوق أرض تجذر فيها الإسلام أو انطلق منها ليضع نباته في أرض الشمال ماضيا، والذي أصبح الآن يسقى بمسلمي تلك الأرض وبمن يهاجر إليها، والدليل على ذلك صوامع الجوامع التي توجد بالمآت هناك.

وأخيرا أطلب من صاحب التعليق أن يقرأ معي قول الله تعالى ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾الآية:56 من سورة القصص.

ميثاق الرابطة

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

إعداد الأستاذ: نبوية الناصري

لايسع الباحث في حضارتنا الخالدة وآثارها إلا أن يعنى بالنزعة الانسانية التي تميزت بها حضارتنا عن كل الحضارات، فنقلت الانسانية إلى أجواء التسامح والتفاهم والتعاون والعطاء والتساوي أمام الله وأمام القانون، حين يعلن الاسلام أن الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة (يأيها الناس، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) سورة النساء.

وما الاختلاف في الأجناس والبلدان إلاسبب إلى التعاون والتعارف والتلاقي على الخير، ومن ذلك انبثق المبدأ الانساني الخالد: (يأيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)سورة الحجرات. والكل سواء، سواء عند الله في آدميتهم وإنسانيتهم، لاتمايز بينهم إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات، وهم سواء أمام القانون الإلهي في الخضوع له، لاتمايز بينهم إلا بالحق (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) سورة الزلزال. وهم سواء في كيان المجتمع يتأثر قويهم بضعيفهم، ومجموعهم لعمل أفراد منهم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)الحديث، رواه مسلم وأحمد.

ويسمو التشريع إلى أرفع من هذا حين يثبت الكرامة الإنسانية للناس جميعا بقطع النظر عن أديانهم وأعراقهم وألوانهم.ومن مظاهر هذا التكريم، أن الله خلق الانسان وأسجد له ملائكته وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا، ووهبه القوى العقلية والنفسية والروحية ليسود هذا الكوكب ويعمره، وجعله خليفة عنه في إقامة الحق والعدل (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) سورة الإسراء. وهذا التكريم إنما يتم بالحفاظ على حقوق الانسان جميعها. فله حق الحياة، وحق التملك،وحق الحرية، وحق الانطلاق إلى الآفاق الواسعة ليبلغ كماله، ويحصل على ارتقائه المقدر له سواء أكان ماديا أو أدبيا.

وهكذا، جاء الاسلام ليجمع الصف إلى الصف مستهدفا إقامة كيان موحد، ومتقيا عوامل الفرقة والضعف وأسباب الفشل والهزيمة، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية، والمقاصد النبيلة، والأهداف الصالحة التي جاءت بها رسالته العظمى من عبادة الله، وإعلاء كلمته، وإقامة الحق، وفعل الخير، والجهاد من أجل استقرار المبادئ التي يعيش الناس في ظلها آمنين.

فهو لهذا كله يكون روابط وصلات بين أفراد المجتمع لتخلق هذا الكيان وتدعمه. فالإسلام يربط المسلمين جميعا برباط هو أوثق الروابط ألا وهو رباط الأخوة التي تزول أمامها جميع الفوارق، (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات.وهذا الإيخاء يقتضي تبعات وحقوق. فليس هو إيخاء عقيما لاثمرة له في الواقع، ولا أثر له في الحياة العملية، فهو يقتضي أن يهتم الأخ بأمر أخيه، ويعنى بشأنه:(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) سورة التوبة.

وهذه الكرامة التي جاء بها ديننا الحنيف هي التي تضمن للناس جميعا حقهم في الحياة والعقيدة والعلم والعيش، هي للناس جميعا. ومن واجب الدولة أن تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء. ويسمو التشريع فوق هذا إلى ذروة عالية من السمو الانساني حين يجمل أساس المسؤولية والعقاب للناس لا على ظواهر أفعالهم بل على نواياهم (إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) الحديث رواه مسلم وابن ماجة. فالنية إذن هي محل المؤاخذة أو الإثابة (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى) الحديث رواه أئمة السنة كلهم.والنية المقبولة عند الله هي نية الخير والنفع للناس وابتغاء مرضاة الله (واعبدوا ربكم وافعلو الخير لعلكم تفلحون) سورة الحج.

وفي ظل هذه التعاليم السامية، الكريمة والسمحة نشأت المرأة المسلمة وترعرعت،وازدهرت بها الأمة الاسلامية التي عرفت حضارة كانت الأولى من نوعها في تاريخ البشرية، حضارة لولاها لما أدرك العالم ما وصل إليه في عصرنا هذا، بل لتأخر قرونا. واتخذت المرأة المسلمة لها نموذجا يميزها عن أي امرأة غير مسلمة، يجسد ما في تعاليمنا الاسلامية من معاني وسبل وآفاق، وأعطت بقدر ما أخذت من حقوق، وأتاح لها الدين الحنيف كل فرص التطور والنجاح وأوضح لها واجباتها ومسؤولياتها.

كان أول ما اتجه إليه الاسلام هو العلم الذي يدفع الجهل دينيا ودنيويا. وذلك لأن الحضارة العربية الاسلامية التي قدمت للعالم ماقدمت من تقدم في مختلف مجالات العلم والبحث، كان الدافع والحافز في تكوينها كتاب الله عز وجل وحثه على طلب العلم الدنيوي مع الديني، قال تعالى في سورة الزمر:(قل، هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون. إنما يتذكر أولو الألباب) وفي مواضع أخرى ذكر سبحانه "أولي النهي" وفي مواضع أخرى عديدة ذكر فيها القرآن الكريم آيات يخاطب بها "قوم يعقلون".

ولم تستثنى المرأة المسلمة من هذه الخطوة الجليلة التي كانت الأولى نحو مجد الأمة الاسلامية، إذ أباح الاسلام للمرأة أن تتعلم ماتشاء من العالم النافع، بل وفرضه عليها وأوجب عليها تعلم مالابد منه من أمور الدين في العبادات والمعاملات، فقال النبي (ص): "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" . ويحرم على الزوج منع الزوجة من طلب العلم إذا قامت بحقوقه عليها. وكانت أول عالمة بعلم الحديث في التاريخ الاسلامي أم المؤمنين مولاتنا عائشة (ض) التي روي عنها الكثير من أحاديثه (ص) المتعلقة بسنته الفعلية منها والقولية.

لذا كان خطأ تاريخيا فادحا إهمال تعليم المرأة، دفعت الأمة الاسلامية ثمنه باهظا من تخلف حضاري وانحدار، واستعمار، وفساد أخلاقي مازالت تعاني منه، ووصلت أرقام الأمية بين النساء نسبا يخجل منها في عالم كان بالأمس المنادي الأول بتعليم المرأة وتهذيبها وترقيتها.وادى ذلك كله إلى بلبلة فكرية وسيطرة الخرافات، وبالتالي إهمال المرأة لواجباتها نحو الأسرة والوطن وفاقد الشيء لايعطيه.

هذا، وحيث أنه كان لابد من ترسيخ مبادئ العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين، وكان لابد لهم من الاقتناع بها والايمان بها أولا نزلت الآية الكريمة المتضمنة لمبايعة الرسول (ص) على أحكام الشريعة والدين الحنيف. والمثير للإنتباه في هذا المقام أن المبايعة على الاسلام والتزام أحكامه، أول ما جاءت، خاطبت النساء. قال تعالى في سورة الممتحنة:(يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن، ولايزنين. ولايقتلن أولادهن ولاياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف، فبايعهن) فكان النبي (ص) إذا بايع الرجال، بايعهم بمثل هذه الصيغة بعد تحويل الضمائر إلى ضمائر التذكير. وقد شمل قوله تعالى: (ولايعصينك في معروف) جميع الشريعة التي جاء بها الرسول إلا الأحكام التي قامت الأدلة على استثناء النساء منها.

وهكذا، نزلت الآية الكريمة على النساء أولا وذلك لحكمة إلهية نستنتج منها ما للمرأة من أهمية في المجتمع الاسلامي لأن في حسن أخلاقها وتعلمها سلامة المجتمع وتقدمه. وكما يقول الشاعر: الأم مدرسة إذا أعددتها، أعددت شعبا طيب الأعراق. ونتيجة لهذا كان للمرأة أن تبدي رأيها في المجتمع، ومنحت بذلك حرية الراي، وكان لها أيضا أن تعترض أذا رأت الخطأ والزلل في أمور المسلمين.

ومما يدل على ذلك، أن سيدنا عمر بن الخطاب (ض) كان حين تعرض له نازلة يريد أخذ رأي المسلمين بها، يدعو المسلمين إلى المسجد، وكان يدعو الرجال والنساء على السواء، ويأخذ رأيهم جميعا، ولم ينكر عليه أحد.وقد رجع عن رأيه حين ردته امرأة في أمر تحديد المهور، إذ قالت له:"ياأمير المؤمنين، الله يقول: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطارا، فلا تأخذوا منه شيئا، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) سورة النساء. فكان موقفه قمة في التواضع والعدل. وليس هناك مايمنع المرأة من ممارسة هذا الحق: فهو حق قرره الاسلام، ومارسته المرأة المسلمة على نطاق واضح أيام الخلفاء الراشدين. وقد كانت أمهات المسلمين يبدين آراءهم في سياسة الدولة، وموقف مولاتنا عائشة من عثمان (ض) معروف، ولم يعترض عليها عثمان ولا أحد من الصحابة فيما كانت تبديه من آراء، بل كان بعضهم يتحدث إليها في ذلك ويدير معها الرأي فيه. قال تعالى في سورة التوبة: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم).

وهكذا كان للمرأة منذ أول عهد الاسلام حقها وواجبها السياسي كإنسانة واعية، راشدة، عالمة بأمور أمتها وبلدها وتعنيها شؤونه. وقد استعادت المرأة المسلمة في عصرنا هذا، هذا الحق ولله الحمد وبدأت تمارسه عن طريق الانتخاب، وأصبحت تنتخب وتنتخب، وتلج المحافل الدولية والوطنية وتشارك في سياسة الحكومة المسلمة. ولكن على نطاق محدود جدا، نأمل أن يضاعف نشاطها في هذا المجال.

وبعد واجب التعلم والمساهمة في أمور الدولة وترسيخ دعائم الدين داخل الاسرة وخارجها كما رأينا في عهد الصحابة، لم تستثنى المرأة المسلمة من الدعامة الثالثة للدولة الاسلامية ألا وهي دعوة الاسلام إلى العمل.

والاسلام يحب لأهله أن يحيوا كأقوى ماتكون الحياة، وأن يناضلوا كأشد مايكون النضال، وأن يكون لهم في كل ميدان جهاد، وفي كل مجال عمل، حتى تتحقق لهم السيادة. والقيادة عن جدارة واستحقاق. وغاية الحياة في نشر الاسلام هي إحسان العمل وإتقانه، وإظهار المواهب وإبراز القوى الكامنة في النفس الانسانية (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور)سورة الملك.

تابع (ص: 11)

الوثاق

المراد لايرفع الإيراد

للعلامة الحسن بن مسعود اليوسي

إن اللفظ الذي يعبر به عن المعنى إفرادا أو تركيبا لا يخلو من أقسام، لأنه إما أن يكون نصا فيما أريد عند المعبر لغة أو عرفا أو خاصا لايحتمل غيره أصلا، وإما أن يكون ظاهرا فيه شيء من ذلك محتملا لغيره احتمالا ضعيفا،وإما أن يكون محتملا له ولغيره احتمالا مساويا، وإما أن يكون ظاهرا في غيره محتملا له احتمالا ضعيفا، وإما أن يكون نصا في غير محتمل للمراد أصلا، فأما القسم الاول وهو أن يكون اللفظ نصا في المراد به فواضح، سواء كان كذلك، وهو حقيقة نحو السماء والأرض والشجر والحجر في مدلولات المعلومات ونحو ذلك، وهو أكثر مايكون هذا القسم أو هو مجاز هجرت حقيقته فصارت نسيا منسيا نحو: أكل فلان من نخل فلان أو زيتونه إذا أكل من ثمره مثلا، فإن حقيقته أن يأكل من خشبه وهي مهجورة، وكذا أكل داره ورباعه إذا أكل أثمانها كما قال الراجز:

إن لنا أحمرة عجافـــــا

يأكله كل ليلةأكافـــا

فهذا القسم كله أعني مايكون اللفظ فيه نصا في مدلوله لايتصور ولايصح، اعتراض على من أطلقه علم معناه الذي هو نص فيه أصلا، فلو جاء جاهل بالألفاظ ومدلولاتها ووجد اللفظ في معناه، فتوهم أن اللفظ موضوع لغير ذلك المعنى، فاعترض على المعبر كان اعتراضه ساقطا، فإذا قيل له المراد هو كذا وهو معناه الصحيح، فليس لهذا المعترض أن يقول: المراد لايرفع إلا يراد، لأن هذا المراد هو الصحيح، والإيراد باطل نشأ عن الجهل وعدم العلم بالمراد، وحق هذا المقام أن يقال فيه الإيراد لا يصح مالم يفهم المراد، ولو فهم المراد تبين أنه لا يراد، وبالجملة فالمعترض في هذا القسم جاهل حق السؤال لا الاعتراض.

وأما القسم الثاني وهو أن يكون اللفظ ظاهرا في المراد. محتملا لغيره احتمالا ضعيفا،فهو أيضا واضح لا اعتراض عل الطلق فيه لأن الحمل على الظاهر متعين، ولايصار إلى التأويل، وهو حمل اللفظ على المحتمل المرجوح إلا لموجب، والفرض في المقام أن لا موجب، فمن اعترض أيضا في هذا المقام كان اعتراضه ساقطا كالأول.

وأما القسم الثالث: وهو أن يكون اللفظ محتملا للمراد ولغيره سواء، بأن يكون مشتركا أو ذا مجاز شهير كأصله، ولاقرينة تبين شيئا من المحامل،فهذا أيضا لايتوجه فيه اعتراض على المطلق، من حيث وقوع اللفظ على المعنى المراد ، لأنه دال عليه بلا مرية، نعم، يعترض من جهة إبهام الأمر حيث لم ينصب قرينة تدل على المراد فإن كان لذلك وجه صحيح وعار مقبول لأن يتقاضى المقام تعمية وابهاماكما في الألغاز والتوجيه لغرض ونحو ذلك فلا بأس، وإلا فالاعتراض واقع بعدم تبين الدلالة لا بانحرافها، وهذا ليس مما نحن فيه.

وأما القسم الرابع وهو أن يكون اللفظ ظاهرا في غير المراد، كإطلاق اللفظ على معناه المجازي مثلا، فهو أيضا أن ينصب المتكلم قرينة تدل على أن المراد هو ذلك المحتمل الضعيف، أو كان المقام يقتضي إبهاما وتعمية كما يقع في التورية والألغازات، فلا اعتراض أيضا، لوضوح المراد بواسطة القرينة في الأول، ووضوح صحةالمقصد في الثاني، فمن اعترض في شيء من هذا كله فاعتراضه ساقط، وإن لم ينصب المتكلم قرينة تدل على المراد، ولاقصدت التعمية: فالاعتراض وارد عليه، ولاتنفعه النية، ولا يندفع عنه الإيراد بقوله: المراد كذا، لأن الاعتراض إنما هو على اللفظ، وهو لا يدل على ما أراد، ولا يوفي له بما قصد لظهوره في غيره، ومثال ذلك ، أن يقول القائل: خرجت من بلد كذا فلقيت في الطريق أسدا يعني رجلا شجاعا كالأسد، فإذا قيل إنك لم تلق أسدا أصلا وإنما لقيت فلانا، المراد لا يرفع الإيراد، إن نيتك من قولك المراد كذا لايرفع عنك ماورد على لفظك، لأن لفظك يفهم منه المعنى الباطن الذي ليس بمراد وهو الأسد الحقيقي وليس لك أن تصحح كلامك، بنيتك لعدم ظهورها.

وأما القسم الخامس: وهو أن يكون اللفظ نصا في غير المراد محتمل للمراد أصلا ، للتباين بين موضوعه وما أريد به مع عدم مصحح للاطلاق، بتجوز لا مرسلا ولا استعارة، فهذا الاعتراض أيضا واقع على مطلقه لأنه إطلاق فاسد، كقولك لقيت فرسا تريد عبدا من غير قصد تشبيه فهذا لايقع إلا غلطا أو جهلا، بأن يظن أن اللفظ موضوع لذلك أو قصد التعمية وليست بمقبولة هاهنا ، إذ لايسوغ فيها إلا أن يكون كذبا محتاجا إليه في محله.

وبالجملة فلابد أ ن ينظر في لفظ المتكلم بعد معرفة معناه الحقيقي والمجازي، والإحاطة بما يحتمله راجحا أو مرجوحا أو ظاهرا فيه بنفسه أو بمعونة قرينة لفظية أو حالية، أو محتملا منبها،حيث صح قصد الإفهام، فلا اعتراض عليه في شيء من ذلك، وإن أطلقه على ماليس من شأنه أن يدل عليه، لكونه غير موضوع له حقيقة ولا مجازا، أو محتملا له احتمالا ضعيفا، ولاقرينة أو ظاهرا فيه، أومعه قرينة صارفة إلى غيره فالاعتراض في هذا كله واقع، والإيراد صحيح، ولاتنفع المتكلم فيه لا دليل عليها، ولاتفسير للمستند له، وهذا هو الذي يقال فيه "المراد لايرفع الإيراد" والله المستعان، وعليه التكلان.

وكتب الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له وليا ونصيرا بمنه ويمنه هـ.

ح ع:1755.

الحمد لله وحده من خط العلامة سيدي محمد بن الحسن البناني مانصه:

وسئل سيدي الحسن اليوسي عن قول العلماء، المراد لايرفع الإيراد.وذلك أن من الناس من يعبر بالكلام الموهم واللفظ القاصر، فإذا اعترض عليه قال مرادي كذا، ومن الناس من يجري اللفظ الصحيح الظاهر في معناه الواقع موقعه، فيعترض عليه بسوء فهمه، وخطم جهله، ويفسره بغير معناه، أو يخرجه عن وجهه، فإذا قيل له المراد هو كذا لا ماتظن، اعترض بأن المراد لايدفع الإيراد، وهذا كله خطأ وجهل، فلابد من تحرير هذا اللفظ وبيان موقعه فنقول وبالله التوفيق.

■ الأستاذ : إدريس كرم

في ظلال الحديث

الحديث التاسع والاربعون: شيوع الزنا وعقوبته

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن ميمونة زوج النبي (ص) قالت سمعت رسول الله (ص) يقول: "لاتزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب" أخرجه أحمد بسند حسن.

تخريج الحديث

أخرجه ابن حنبل في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي (ص) ج6/ص333/ح26873، قال : حدثنا إسحاق بن ابراهيم الرازي حدثنا سليمان بن الفضل قال حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن محمد بن الرحمن بن لبيبة بن عبيد الله بن رافع عن ميمونة زوج النبي (ص).

والطبراني في معجمه الكبير ج24/ص23/ح55. وأبي يعلى في مسنده ج13/ص7/ح7091 وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه أحمد وإسناده حسن وفيه ابن اسحاق وقد صرح بالسماع ورواه أبو يعلى إلا أنه قال: "لاتزال أمتي بخير متماسك أمرها ما لم يظهر فيهم ولد الزنا".

سند الحديث

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي: هو إسحاق بن إبراهيم الرازي ختن سلمة بن الفضل الابرش روى عن سلمة وغيره وعنه أحمد زاد في الإكمال فيه نظر، من كبار تبع الأتباع، قال ابن أبي حاتم عن أبيه سمعت يحيى بن معين أثنى عليه خيرا.

حدثنا سليمان بن الفضل: هو أبو عبد الله سليمان بن الفضل الزيدي الأنصاري الأبرش الأزرق، من الطبقة الصغرى من الأتباع، صدوق كثير الخطأ، ليس بمستقيم الحديث.

قال حدثني محمد بن إسحاق: هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار الإمام الحافظ المطلبي المدني مصنف المغازي مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، كان أحد أوعية العلم حبرا في معرفة المغازي والسير وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة وهو صدوق في نفسه. قال أحمد بن حنبل حسن الحديث وقال علي بن المديني حديثه عندي صحيح. وقال النسائي ليس بالقوي وقد قال ابن عيينة ما رأيت أحدا يتهم ابن إسحاق وقيل كان قدريا والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام وأنه ليس بالواهي بل يستشهد به مات سنة 151.

عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي المديني يعرف بالديباج لحسنه وكان جوادا ممدحا ظاهر المروءة، قال النسائي ثقة وقال في موضع آخر ليس بالقوي وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وهو من كبارالاتباع، قتله أبو جعفر المنصور سنة 145.

عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة بن عبيد الله بن رافع: هو محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة ويقال بن أبي لبيبة ويقال إن لبيبة أمه وأبا لبيبة أبوه واسمه وردان. وهو من الطبقة التي لم تلق الصحابة، قال يحيى بن معين بن ابي لبيبة ليس حديثه بشيء وذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له أبو داود والنسائي، وقال ابن سعد كان قليل الحديث وقال الدارقطني ضعيف وقال أبو زرعة حديثه عن علي بن أبي طالب مرسل، قلت: ولعل هذا ناتج عن الظروف السياسية في عهد الدولة الأموية.

عن ميمونة زوج النبي (ص): هي أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث العامرية الهلالية، روى عنها ابن عباس ويزيد بن الأصم وجماعة، قال الزهري: هي التي وهبت نفسها، وقالت عنها عائشة (ض): ذهبت والله ميمونة، أما إنها والله كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم، توفيت (ض) سنة 51هـ، وروي لها 46 حديثا.

أهمية الحديث

هذا الحديث عظيم قدره، يبين مدى حرص النبي (ص) على بقاء أمته على الفضيلة والخيرية، وهو كذلك ينذر ويحذر الأمة إن فعلت أو سكتت هذه الفاحشة الدنيئة، والرذيلة المقيتة،نعم يحذرها من وقوع العذاب والعقاب وعمومه، نسأل الله ان لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

مفردات الحديث:

"فشا": يفشو فشوا إذا ظهر وهو عام في كل شيء.

"أمتي": المقصود بها أحد معنيين، الأول هي أمة الشهادة، والمعنى الثاني هي أمة الإنسانية جميعا، لأنه (ص) بعث للعالمين.

"ولد الزنا": كناية على انتشار وفشو وذيوع الزنا.

"يعمهم":بما فيهم الصالحين، لأنه إذا عم الخبث، عم العقاب.

المعنى العام

نثير هذا الموضوع ونقلب صفحاته، في هذا الأوان، وأهل هذا الزمان في كثير من أقطار المعمور يعيشون في عصر يوشك أن تسود فيه الإباحية ليجعلوا ارتكاب الفواحش والموبقات حاجات بدنية لا يعاقب عليها القانون مادامت محفوفة بالتراضي بل نجد وفي بلد الإسلام من يخطط للمطالبة بالاعتراف بحقهم "الطبيعي" في ممارسة الفاحشة، كما هو الأمر في هذه الأيام، حسب ما تناقلته بعض الصحف في بلدنا المسلم الأبي، ومما يكشف ذوبان الهمة وموت الإنسانية حين يشاهد رجل ينقاد للبهيمية فيأتي الفاحشة ويعانق الرذيلة، ويشتد الخزي ويعظم الشنار حين لايكون مستورا عن أعين المشاهدين والمشاهدات، إنها حضارة البهائم بل إن البهائم أشد حياء منهم.

وهذا الحديث يحذر الأمة من جريمة من أبشع الجرائم، وفاحشة من أكبر الفواحش، وموبقة من أخطر الموبقات، تتجلى فيها البهيمية المغرقة. جريمة تفقد الشهامة، وتذهب بالمروءة، يحل مكان العفاف فيها الفجور، وتقوم فيها الخلاعة مقام الحشمة، وتطرد فيه الوقاحة جمال الحياء، إنها جريمة الزنا، التي كم جرعت من غصة، وكم أزالت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وكم خبأت لأهلها من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلة.

وإن الناظر لأحوال العالم عموما، في هذه السنوات التي ارتفعت فيها أصوات الخلاعة والندالة، من طرف شذاذ الأفاق، وفسقة الإنسانية تحت غطاء حقوق الإنسان زورا وبهتانا، ارتفعت هذه الأصوات مطالبة العالم أجمع بالتخلي عن أهم مقومات الإنسانية، ألا وهو المروءة، وذلك بالاعتراف والمجاهرة بأعمال لم يشهدها التاريخ إلا متفرقة وجد محدودة، وعلى رأسها الزنا واللواط ونحوهما..

1. الزنا فاحشة وساء سبيلا

إن من أفحش الفواحش وأحط القاذورات جريمة الزنا، حرمه الله، بل حرم طريقه وسببله، وجعله قرينا للشرك في سفالة المنزلة وفي العقوبة والجزاء. يقول عز من قائل: (الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)سورة النور/الآية:3.

ويقول في الجزاء والعقوبة: (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) سورة الفرقان/الآية:68.69.

وماذلك إلا لأنه من أقبح القبائح يبدد الأموال، وينتهك الأعراض، ويقتل الذرية، ويهلك الحرث والنسل، عار يهدم البيوت، ويطأطئ عالي الرؤوس، يسود الوجوه البيضاء، ويخرس السنة البلغاء،ويهبط بالعزيز إلى هاوية من الذل والحقارة والازدراء، هاوية مالها من قرار. ينزع ثوب الجاه مهما اتسع، ويخفض عالي الذكر مهما علا، ويوقع الإنسانية في عذاب الله وعقابه، جزاء نكالا بما كسبوا.

إنه لطخة سوداء إذا لحقت بتاريخ أسرة غمرت كل صحائفها النقية وسودتها. إنه شين لايقتصر تلويثه على من قارفه، بل يشين أفراد الأسرة كلها، ويقضي على مستقبلها جميعها. إنه العار الذي يطول حتى تتناقله الأجيال جيلا بعد جيل. بانتشاره تغلق أبواب الحلال، ويكثر اللقطاء، وتنشأ طبقات بلا هوية، طبقات شاذة حاقدة على المجتمع، لاتعرف العطف ولا العلاقات الأسرية فيعم الفساد، ويتعرض المجتمع للسقوط، على خلاف ما ينادي بعض المغرضين الجاهلين بأنهم أطفال طبيعيون، وكأني بهم قد وصفوا الأطفال الشرعيين أطفالا غير شرعيين، وعوض أن يقوموا مع غيرهم من الشرفاء لمحاربة الداء، يزيدون الطين بلة، والنار اشتعالا.

أليس هذا الفعل الشنيع يجمع خلال الشر كلها من الغدر والكذب والخيانة؟ أليس ينزع الحياء، ويذهب الورع والمروءة، ويطمس نور القلب، ويجلب غضب الرب.

إن مفسدته منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الأبضاع، وصيانة الحرمات، والحفاظ على روابط الأسر، وتماسك المجتمع.

2. أنواع الفواحش

لقد نبه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، الإنسانية جمعاء من عدد من أمهات المعاصي والرذائل التي تعكر صفو الإنسانية جمعاء، وذكر الإسلام الأمم السابقة، وما من فعلهم في هذا الباب، إلا أن الإنسان اليوم قد جمع هذه الرذائل بل زاد عليها وتفنن في تنويعها وتطويرها وفق مايرضي الشيطان ويغضب الرحمن.

وحسب ما تتناقله وسائل الإعلام بأنواعها، نجد أنه زيادة على الزنا الذي هو إتيان الرجل أو المرأة الجنس الآخر في قبله بشكل غير شرعي، في أي شرع كان، وكذا عمل قوم لوط أعاذنا الله من ذلك، والسفاح وهو إتيان المرأة المرأة، ولقد شهد العالم مؤخرا حفلات زواج مثلى، ذكورا بذكور أو إناثا بإناث، بل الأدهى من ذلك هو "زواج" الإنسان بالحيوان وإقامة حفلات لذلك، وإن الإنسان إن غابت عنه الفطرة، لقادر على أن يفعل ما لا يخطر على قلب إنسان سليم الطبع.

3. موقف الإسلام من الزنا

إن الإسلام يقف من هذه الجريمة موقف حزم وحسم، وصراحة وصرامة، إنه يمتدح الشهم الكريم الذي يغار على نفسه ويغار على حرماته، ويندد بالديوث الذميم الذي يقر الخبث في أهله. لتبقى الأعراض مصونة، والشرف موفورا عزيزا.

ولقد اقترن حال الزاني بحال المشرك في كتاب الله: (الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)سورة النور/الآية:3.

والزنا محرم بقواطع الأدلة، في محكم القرآن وصحيح السنة وإجماع أهل الملة بل إجماع أهل الملل. إنه قرين لأعظم موبقتين الشرك بالله وقتل النفس:(والذين لايدعون مع الله إلاها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) سورة الفرقان/الآية:68.70.

والله سبحانه في محكم تنزيله نهى عن قربه والدنو منه مما يعني البعد عن بواعثه ومقدماته ودواعيه ومثيراته فقال سبحانه:(ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) سورة الإسراء/الآية:32، قال أهل العلم:(ولا تقربوا الزنى) هذا قبح شرعي، (إنه كان فاحشة) وهذا قبح عقلي (وساء سبيلا) وهذا قبح عادي، قالوا: وما جمع ذنب هذه الوجوه من القبح إلا وقد بلغ الغاية فيها.

وقال رسول الله (ص) فيما أخرجه البخاري ومسلم : "لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" وزاد النسائي في رواية: "فإذا فعل ذلك خلع قبة الإسلام من عنقه فإن تاب تاب الله عليه" وفي رواية للبزار: "والإيمان أكرم على الله من ذلك" وفي خبر عند أبي داود والترمذي والبيهقي: "إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه، ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان" وفي صحيح البخاري في حديث المنام الطويل وفيه أنه عليه الصلاة والسلام جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام قال: "فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات، قال: فأطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك ضوضوا . أي صاحوا من شدة الحر. فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟قال: هؤلاء الزناة والزواني" فهذا عذابهم إلى يوم القيامة عياذا بالله.

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد عن عيسى عليه السلام : لا يكون البطالون حكماء، ولايلج الزناة ملكوت السماء، وفي جهنم نهر يقال له نهر الغوطة يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن. وأخرج الخرائطي وغيره مرفوعا: المقيم على الزنا كعابد وثن. قال أهل العلم ويؤيده ماصح من أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن. قالوا: ولاشك أن الزنا أشد وأعظم عند الله من شرب الخمر.

4. الأصل في الأمة الخيرية

يستهل الحبيب المصطفى (ص) الحديث الذي بين أيدينا، بالتأكيد على أن الأصل في هذه الأمة الخيرية، وهذا من حرصه (ص) على بقائها على هذه الصفة والصبغة، حتى تكون أمة القيادة والشهادة، وإن المتأمل في هذا الحديث يدرك مدى هذا الحرص منه (ص) وهو يحذر مما من شأنه أن يلوث هذه الخيرية، ويرجع بها إلى دهاليز المعصية ويؤس الفاحشة والرذيلة.

وإن البقاء على الخيرية رهين بالمحافظة على مقوماتها، وباختصار شديد ملازمة الصراط المستقيم والاستقامة عليه.

5. الحكمة من تحريم الزنا

إننا نحن رجعنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله (ص)، نبحث عن السبب والحكمة في تحريم الزنا خصوصا والفاحشة بأنواعها عموما، فإننا سنجد على سبيل المثال وليس الحصر، أن الحكمة الحقيقية لايعلمها إلا رب العالمين، نقول أن من ذلك:

المحافظة على طهارة المجتمع الإسلامي، وصيانة أعراض المسلمين، وطهارة أنفسهم، والإبقاء على الكرامة الإنسانية، والحفاظ على شرف الأشخاص وشرف الأشخاص وشرف الأنساب، وصفاء الأرواح...

6. الآثار السلبية للزنا

الزنا انتكاسة حيوانية، وارتكاسة بهيمية، تذهب بمعاني الأسرة ومشاعر الإنسانية الراقية، يطيح بكل أهداف السمو الأسري، وعلاقات الرحم وأواصر القربى، ترد ابن آدم المكرم إلى مسخ حيواني سافل. مسخ كل همه إرواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة وشهوة عارمة ونزوة حيوانية بحتة.

الزنى نذير رعب وفزع في فشو الأمراض، ونزع البركات، ورد الدعاء. الزهري والسيلان من أمراضه، والإيدز من أوبئته، في أمراض يرسلها الله لم تكن في الأسلاف، مما يعلمون ومما لايعلمون.

8. فشو الزنا سبب لحلول العقاب وعمومه

إن فشو الزنا في المجتمع المسلم خاصة، يكون سببا من أسباب حلول عقاب وعذاب الله بالأمة، وإن مانشاهده في عالمنا اليوم لخير دليل على صدق الحديث، فمن الاضطرابات الاجتماعية الخطيرة، إلى الأمراض النفسية البليغة التي يعاني منها ليس الزناة فقط، بل حتى أسرهم وذويهم، زيادة على ذلك فشو الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا كما أشرنا في الحديث السابق (الحديث 49) ومن ذلك الامراض الجنسية الخطيرة، وإن أخطر من ذلك هو التفكك الأسري الذي يودد الإنسانية إن استمر الوضع على ما هو عليه، والله نسأل أن يحفظنا من الفواحش ماظهر منها وما بطن، وأن لايؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

حديث المنابر

ذكرى المطالبة بالإستقلال يوم :11-01-1944

إعداد الأستاذ : عبد الله كديرة

الخطبة الأولى

انطلاقا من قوله تعالى: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» سورة النساء / الآية: 141.

الحمد لله رب العالمين: الحمد لله الذي فرض على المسلمين ألا يستظلوا إلا بظل راية الإسلام، وألا يدينوا إلا بدينه، وألا يخضعوا إلا لنظامه في كل امور معاشهم ومعادهم.. فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين..وبهذه العزة الإيمانية " لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" والمؤمنون بالله ربا وحده لاشريك له في ربوبيته ، والها لاند له في الوهيته، أعزة على الكافرين، أذلة على المؤمنين ، من الرحمة والولاء والود والحب .. قلوبهم خالصة مخلصة لله، لاتعبد سواه، ولا تستعين بغيره ، ولاؤها له وحده وللمؤمنين به وله .. فرقانهم في تفريقهم بين حقهم وباطل الكافرين والمنافقين قوله عز من قائل في سورة النساء: «بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا، الآية: 136. وهم في ذلك مهتدون مقتدون بمن قال الله تعالى في حقه في خواتيم سورة الفتح: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم... فقد كانوا يحبونه الحب الكبير حتى بلغوا في ذلك المثل الأعلى، قال سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه : يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال:« ما شئت» قال: الثلث . قال « ماشئت» وإن زدت فهو خير» قال: الثلثين . قال « ماشئت وإن زدت فهو خير» قال: أجعل صلاتي كلها لك (أي أجعل دعائي كله صلاة عليك) قال « إذن تكفى همك ويغفر ذنبك» (أحمد والترمذي والحاكم) . فاللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول العظيم وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين صلاة تكفي بها همومنا وتغفر بها ذنوبنا وتعز بها أمتنا في دينها ودنياها..

أيها المؤمنون البررة الكرام، في اليوم الحادي عشر من يناير سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف، واجه المغاربة المسلمون الأحرار الحكومة الاستعمارية الغاشمة آنذاك بوثيقة المطالبة بالاستقلال عن الحماية الفرنسية، ونصب أعينهم حينئذ وفي كل حين: أن المغرب دولة مسلمة حرة منذ عرفت الإسلام دين العزة والكرامة والحرية .. وبما أن الحماية الفرنسية اتخذت من هذه الحماية ذريعة لاستعباد العباد، واستنزاف خيرات البلاد، ووسيلة للتفريق بين المغاربة ، من أجل الاستحواذ على مقاليد الأمة بتحطيم وحدتها وتشتيت شملها ، فقد ثار الشعب المغربي وقام قومة رجل واحد يتقدمه ملكه المجاهد آنذاك مولانا محمد الخامس رحمه الله تعالى برحمته الواسعة ..وفي مقدمة الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال كان العلماء الأجلة من جميع مدن المغرب وقراه ..ففي صباح يوم الجمعة 17 محرم 1363هـ الموافق 14 يناير 1944 م قدم وفد يمثل علماء جامعة القرويين إلى القصر الملكي بالرباط ، حيث استقبلهم أمير المؤمنين محمد الخامس رحمه الله ، وأعلن تأييده لمطالبهم... وهؤلاءهم ملوك المغرب في كل حين وعلى كل حال في مقدمة الصفوف المتراصة لمواجهة كل ما يمس كيان هذا الوطن في دينه أو دنياه، وهكذا سيظل المغاربة أقوياء في التحامهم مع المتربع على العرش أمير المؤمنين لا تخيفهم في الله لومة لائم ولاسطوة جبار ظالم ، لحمتهم في ذلك الاعتصام بحبل الله امتثالا لقوله جل وعلا:« واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا...» سورة آل عمران/ الآية103. .. وسداهم يقينهم الراسخ المكين المتين بأنهم على صراط الحق المبين ، ولهم في ذلك من الله تعالى خير ناصر ومعين، مصداقا لقوله عز وجل:« يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ...» سورة محمد الآية:7 .

أيها المؤمنون البررة الكرام ، لماذا نذكر بهذه الذكرى المجيدة كلما حل أو اقترب أن يحل اليوم الذي يذكرنا بها؟

- لنتذكر أيها المؤمنون أننا أمة لاتخاف إلا الله، ولاترجو إلا ما عند الله.. قوتنا في إيماننا بتميزنا بالعزة التي خص الله بها المؤمنين على الكافرين، فرغبتنا إلى الله ورهبتنا من الله، نخشى عذابه وعقابه في الدنيا والآخرة..ونرجو رحمته يعمنا بها في ديننا ودنيانا .. وتجربتنا على مر التاريخ أكدت لنا أن إسلامنا واستسلامنا لله.. وأن أيا من أعداء الله لن ينال منا مادام هذا ما عليه أمرنا، وهذه ذكرى محطة فقط لعزتنا بالله ، والمغاربة أيها المؤمنون أيضا عند وقوفهم للذكرى التي تنفع المؤمنين ولا تنفع غيرهم في إحدى محطات عزتهم بالله ولله وفي الله ، يثبتون كالأطواد الشامخة أمام الأعاصير، فلا تزعزعهم ، بل ولا تهز يقينهم وحسن ظنهم بالله لأنه معهم، فهم يقرأون أحداث التاريخ التي مرت عليها أمة الإسلام فلم تفت في أعضادها .. أليسوا يقرأون ويتدبرون فيما أنزل عليهم ربهم من القرآن الحكيم: « إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب...» سورة الأنفال/ الآية: 12. فلولا ثبات المغاربة الأحرار لما بلغوا مبتغاهم.. وثباتهم كان لله ولله وفي الله، ولذلك كان لهم النصر من الله ، مصداقا لما وعد به، ووعده الحق وقوله الحق وهو جل علاه الحق:« ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز» سورة الحج- الآية:40.. والمغاربة من أجل دينهم وملكهم ووطنهم يسترخصون كل غال ويستهينون بكل نفيس، إذ لا أنفس لديهم من دينهم ووطنهم وملكهم ، وقد خاطبهم أحد المجاهدين آنذاك وهو العلامة عبد الله الجراري رحمه الله يحثهم على التضحية والجهاد:« أيها الشعب المكافح، لقد رفعت صوتك عاليا مطالبا بالحرية، فكم من عرائض رفعتها، ووفود وجهتها، ومظاهرات أقمتها، ودماء زكية طاهرة أرقتها، وتحملت جميع أنواع الاضطهاد... أيها المغاربة، في هذا اليوم يجب أن تتذكروا إخوانكم الذين قتلوا وأبطالكم الذين استشهدوا والمواطنين الذين اضطهدوا ... أيها الشعب المكافح، يجب أن تثبت في نضالك وأن تصمد في مطالبتك... أن تضاعف الجهود حتى تحقق أملك... إن شمس الاستعمار قد أفلت، ونهاية الحماية قد قربت، فاجمع قوتك واشحذ عزيمتك وسر مجاهدا في موكب الحرية وراء الثابتين المكافحين..» فاللهم ارحم من قضى نحبه من مجاهدي المطالبة بالاستقلال وشهدائها وبارك في أعمار الباقين منهم، وأجزل للجميع الجزاء الجميل منك وارحم قائد الجهاد الأكبر مولانا محمدا الخامس ووارث سره ورفيق دربه مولانا الحسن الثاني ، وبارك في عمر ثمرتهما المباركة وسليلهما محمد السادس وحقق على يديه كل بر وأجر بسعيه لهذا البلد الأمن الأمين كل خير ... واجعلنا جميعا على عهد الوفاء والولاء والصفاء والصدق، بالإسلام وللإسلام وفي الإسلام عاملين ،إلى أن نلقاك وأنت عنا راض ونحن عنك غير مفتونين ولاضالين ولا مضلين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي جعل من المؤمنين في كل زمان ومكان وحدة واحدة يود بعضهم بعضا ويوالي بعضهم بعضا ويحب بعضهم بعضا ويدافع بعضهم عن بعض ويدعو بعضهم لبعض، وهم في ذلك عاملون بما وصفهم به ربهم وهو أعلم بهم منهم :« والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم» سورة الحشر / الآية: 10. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت به نبيا عن أمته فقد قلت عنه وقولك الحق ووعدك الحق وأنت الحق :« هو الذي بعث في الأميين رسولا ومن هذه الذكريات التي نعتز بها ونفتخر، أيام نذكرها لمجد الوطن، وأيام نذكرها لإعلاء كلمة الدين وهي العليا دائما وبها نحن نعلو . وماذكرى الحادي عشر من يناير إلا من هذه الذكريات التي برهن فيها المغاربة عن بكرة أبيهم على أنهم شعب قرآني. رباني.. زكاهم الكتاب وربتهم الحكمة.. ومن لم يكن معهم على ذلك النهج الكريم فقد برئت منه ذممهم لأنه ليس منهم ولاهم منه إلا أن يَرْعَوِيَ ويتوب .. يوم الحادي عشر من يناير يذكرنا بأن المغربي صبور شديد العزم، قوي التقوى ، شجاع ، بطل، ذكرا كان أم أنثى .وقد قام ذكور المغاربة وإناثهم قومة واحدة في ذلك اليوم الكبير لمواجهة ما كان يسمى يومئذ زيفا زورا وبهتانا بالحماية.. وقابلتهم (الحماية) بالحديد والنار فقتلت وسجنت وشردت وعذبت، فلم تهن عزائمهم ، ولم تلن إراداتهم ، وقد ثكلت إحدى السيدات يومئذ ولدها الذي لقي ربه شهيدا برصاص المستعمر في إحدى المظاهرات ضد الاستعمار والحماية وقصدها الناس ليعزوها ، فاستقبلتهم مبتسمة صابرة محتسبة وقالت لهم:« هنئوني ولا تعزوني ، فابني لم يمت وإنما هو شهيد حي عند ربه يرزق» وهذا هو المسلم في كل حين وعلى كل حال ذكرا كان أو أنثى ، إنسان مسالم يسلم من أذاه القريب والبعيد ويأمن بوائقه القاصي والداني .ولكنه أسد هصور إذا أوذي في كرامته كإنسان، وفي عزته كمؤمن وفي دينه كمسلم، وفي وطنه كمغربي وطني، وفي بيعته لملكه المفدى.. لا يقف لغضبه شيء حتى يرجع الحق إلى نصابه... والموت في سبيل الله والوطن والملك استشهاد هو الحياة الحق .وتلك خلاصة مغزى احتفال المغاربة بذكرى المطالبة بالإستقلال يوم 11 يناير 1944 ..فكل مغربي وطنه في قلبه، وربه معه يحميه ويقيه ، ودينه عصمة أمره ، وبيعته لملكه في عنقه عهد عليه لا يحيد عنه ولايحول ولا يزول...

فاللهم أعطنا ما تريد منا من الإخلاص لك في الإيمان، وأجر ذلك على جوارحنا عملا صالحا ينفع وطننا ومواطنينا اللهم اجعل ذكرياتنا التي نحتفل بها ونحتفي محطات نقف عندها لنذكرك، ونشكرك ونحسن عبادتك بما يرضيك ويرضينا بما يرضيك.. مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم اجعل نعمك محيطة به وأعنه على شكرها، اللهم جد عليه بجودك ومجدك وكرمك وفضلك وأقر عينه بشقيقه المجيد السعيد مولاي رشيد وبكل أهله وشعبه وارحم مولانا الحسن الثاني ومولانا محمد الخامس برحمتك الواسعة، وعاملهما بإحسانك ورأفتك وفضلك وأظلهما يوم لاظل إلا ظلك.. اللهم ارحمنا وارحم والدينا وأمواتنا وأحياءنا وأمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها...

الدفاع الوجودي عن القرآن الكريم

الحلقة الثانية

■ إعداد الدكتور، بنعيسى بوبوزان

بعد هذا الفصل انتقل الدكتور بدوي إلى الفصل الثاني وهو أوفر فصول الكتاب، وعنوانه "التشابه الكاذب بين القرآن والإنجيل"، وقد قسم الكاتب البحوث والدراسات الإستشراقية التي تناولت هذا الموضوع، والتي سعت جاهدة إلى إيجاد أصول مسيحية ويهودية للقرآن الكريم، إلى قسمين كبيرين،هما:

ا . كتب ذات نزعة يهودية.

ب . كتب ذات نزعة مسيحية.

وقد ذكر طائفة من الكتب لكل توجه بعناوينها ومؤلفيها، وقبل أن يبدأ في مناقشة آراء أصحابها، أكد الكاتب على أن هذه الكتب كلها "اجتمعت على إرجاع أصل القرآن الكريم إلى نصوص أخرى في الكتب المقدسة، حيث اتهموا النبي (ص) بتأليف القرآن وأنه استقى واستعار من الكتب المقدسة وشبه المقدسة المسيحية واليهودية أغلب القصص والصور المجازية والأمثال والحكم" وبالتالي فقد نظروا إلى القرآن الكريم على أنه مسروق من الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحيين، لذلك يقول بدوي: "وطبقا لهذه المزاعم، يفترض إذن في النبي (ص) إتقانه للغة العبرية والسريانية واليونانية، كما يفترض أيضا أنه قد امتلك مكتبة ضخمة تضمنت نصوص التلمود، والأناجيل ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجالس، وكذلك بعض أعمال الأدباء اليونانيين ومختلف الكنائس والمذاهب المسيحية"، وكأن على القرآن حتى لا يقذف بتهمة السرقة أن يحمل في طياته حقائق مخالفة للعلم والمعقول، وكلما عثر هؤلاء المستشرقون في القرآن مشابهة لكلمة أخرى وردت في الكتاب المقدس سارعوا إلى استنتاجات كلها خاطئة في أساسها، وإني لأتساءل: كيف استطاعوا . وهم الذين يدعون العلم أن يوقعوا أنفسهم في مثل هذه السخافات".

وأول مستشرق توقف عنده د. بدوي هو المستشرق هيرشفيلد Hirshfeld حيث أورد نماذج مما قام به هذا المستشرق من مقارنة بين آيات من القرآن الكريم وأسفار العهد القديم، وقد ركز د.بدوي بالذات على ما قام به هذا المستشرق من مقارنة بين آيات من سورة الرحمن، وسفر المزمور136، ثم آيات من سورة النحل والمزمور 104 . وقد خلص د.بدوي من هذه المقارنات إلى قوله: "ونصل في الخلاصة إلى أن الدراسات الثلاثة التي خصصها هيرشفيلد للعلاقة بين القرآن والنصوص المقدسة اليهودية غير ذات قيمة تذكر، لأنها مبنية على تشابه خاطئ، وعلى تحيز مفضوح وعلى افتراضات مرتجلة ينقصها الفهم"، ذلك لأنه مثل سائر الباحثين اليهود الذين كانت مواقفهم نتيجة منطقية لتحيزهم وبحثهم المسعور عن بصمات عبرية ويهودية في القرآن.

ومن هذه النماذج التي أوردها د. بدوي ليؤكد على تهافت هذا المستشرق حتى خلص إلى ما أوردناه أعلاه، نتوقف عند مقارنة بين آيات من سورة الرحمن، وسفر المزمور136:

سورة الرحمن

الآية5: الشمس والقمر بحسبان.

الآية6: والنجم والشجر يسجدان.

الآية7: والسماء رفعها.

الآية9: والأرض وضعها للأنام.

سفر المزمور136 (العهد القديم)

8: الشمس لحكم النهار.

9: القمر والكواكب لحكم الليل.

5:الصانع السماوات.

6: الباسط الأرض على المياه.

قال د.بدوي معلقا على هذه المقارنة:"إنني أدعو القارئ إلى الإمعان في النصين القرآني والإنجيلي ليحاول معي إيجاد أي تشابه يذكر... كيف أوجد هيرشفيلد تشابها بين فقرتين لا علاقة لهما ببعضهما؟ فالقرآن يذكر الطابع الدوري لحركة الشمس والقمر، بينما لايذكر المزمور شيئا عن هذا الموضوع ورد في القرآن أن النبات والأشجار تسجد لله، بينما لاتجد الفكرة في المزمور الذي يتحدث بعد ذلك عن الحكمة التي خلق الله بها السماوات، لكن القرآن لايذكر سوى أن الله رفع السماء، أما الآية القرآنية التاسعة من هذه السورة فقد ورد أن الله بسط الأرض لصالح الإنسانية جمعاء، في الوقت الذي تتحدث فيه الآية السادسة من المزمور عن حالة جغرافية بسيطة، وهي أن الأرض ممتدة فوق المياه. أين إذن التشابه بين سورة الرحمن وبين نصوص المزامير التي وردت في العهد القديم؟ إنها نفس التهيؤات المرضية التي دفعت هيرشفيلد للقول إن هناك تشابها بين سورة النحل والمزمور104، وأنها بالتالي مستعارة منه".

وقد أورد بدوي طائفة من أقوال المستشرقين الذين اعترضوا على ما قام به هيرشفيلد، وإن كانوا كلهم في الغضب ضد القرآن الكريم سواء، كما يتضح عند حديثهم عن كلمة (حطة) التي وردت في سورةالبقرة، والتي ذهب بعض المفسرين اليهود إلى أنها ما هي إلا تحريف للكلمة العبرية (حطنو) أي (اخطأنا)، إلا أن اليهود حين أطلقوها أرادوا بها (الحنطة). وهذا ما جعل الدكتور بدوي يعلق بشيء غير قليل من السخرية قائلا: "إنه فعلا تفسير خيالي يفهم منه أن محمدا (ص) كان ملما بثنايا اللغة العبرية طالما استطاع أن يختلق هذا القصد . حسب زعمهم ، وفرضا أنه استقى هذا المعنى من يهود يثرب فإننا نتحدى أي شخص يعثر على مثله في الكتب اليهودية".

بعد ذلك انتقل بدوي إلى المستشرق كليرمون جانو Clermont Ganau حين زعم هذا المستشرق وكذا المستشرق د.ب. ماكدونالدD.B. Macdonald ان هناك تشابها بين الآية 35 من سورة النور في القرآن الكريم، وفقرة من كتاب زكرياء من العهد القديم. ولنتوقف أولا مع مازعمه ماكدونالد بخصوص الآية القرآنية الكريمة التالية "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله المثال للناس، والله بكل شيء عليم".

فقد قال ماكدونالد معلقا على هذه الآية الكريمة: "يبدو من خلال السياق أن هناك إشارة إلى الخدمة الإلهية المتبعة في الكنائس والأديرة، وتكون الصورة في هذه الحالة مأخوذة من الهيكل في الكنيسة المغمور بالأنوار، ثم إن العبارات القرآنية قد تكون ذات علاقة "بنور" الكون في الإنجيل و "بنور النور"في الإعلان العقائدي لمجمع نيقيا"، وقد جاء رد عبد الرحمن بدوي مبنيا على ثلاثة أسس اعتمد عليها في الجزم بأن طرح ماكدونالد خاطئ، وهي:

أ . أن الأنوار الهيكل في الكنيسة متعددة، بينما لم يرد في الآية القرآنية سوى نور كثير يفيض على السماوات والأرض.

ب . في إعلان العقيدة الذي ذكره ماكدونالد كتب أن الله هو نور يأتي من نور، وجاء في النص القرآني "نور على نور"، أي نور خالص، فالمعنى إذن مختلف في النصين.

ج . لقد درج شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس على وصف مصابيح الرهبان التي يهرب منها النور وكأنه يتسلل من وحدة الاعتكاف والعزلة، ولم يكن النبي (ص) ليستعير هذا التشبيه السائد آنذاك، ويصف النور الإلهي، لأن ذلك يكون بمثابة كفر.

نؤكد لهذه الأسباب الثلاثة أن طرح ماكدونالد خاطئ".

ويقدم المستشرق كليرمون جانو طرحا يزعم فيه أن هناك تشابها بين هذه الآيات القرآنية الكريمة وفقرة من كتاب زكرياء من العهد القديم في الإصحاح الرابع، الآيات(3.1) حيث ورد فيه مايلي: "فرجع الملاك الذي كلمني وأيقظني كرجل أوقظ من نومه، وقال لي: ماذا ترى؟ فقلت: قد نظرت وإذا بمنارة كلها ذهب وكونها على رأسها، وسبع سروج عليها، وسبع أنانيب للسرج التي على رأسها، وعندها زيتونتان إحداهما عن يمين الكوز والأخرى عن يساره. فأجبت وقلت للملاك الذي كلمني قائلا: ماهذه ياسيدي؟ فأجاب الملاك الذي كلمني وقال لي: أما تعلم ماهذه؟فقلت: لاياسيدي، فأجاب وكلمني قائلا: إنما هي أعين الرب الجائلة في الأرض كلها. فأجبت وقلت ماهاتان الزيتونتان عن يمين المنارة عن يسارها؟فقال: هاتان هما أبنا الزيت الواقفان عند سيد الأرض كلها".

ولكن رد الدكتور بدوي جاء مركزا وحاسما فقال: "يظهر جليا مما سبق أن كلا من النصين القرآني والإنجيلي لايتشابهان، حيث نجد أن سفر زكرياء يصف شمعدانا من ذهب يعلوه كوز سبعة مصابيح، و على يمينه وشماله شجرتا زيتون، ولانجد أثرا لهذا في الآية القرآنية، حيث إن مجرد الحديث عن سبعة مصابيح يتعارض تماما والنص القرآني الذي لايذكر سوى مصباح واحد، لأن الله واحد ليس سبعة، ولم يتحدث إلا عن شجرة زيتون واحدة، فهذه الشجرة "لاشرقية ولاغربية" لأنها روحية، فما أبعد فقرة زكرياء عن الآية القرآنية".

ثم خلص بعد ذلك إلى تساؤل جاء فيه: "وعلى مايبني كليرمون جانو إذن زعمه؟الواضح أنه لايبنيه على شيء محدد، حيث لم يقدم أي مرجع، ولم يعط أي برهان. إن الأمر هنا لايعدو أن يكون مجرد توهمات صنعها خيال تائه".

بعد ذلك توقف د.بدوي مع المستشرق جوزيف هورفيتز الذي سبقت الإشارة إليه آنفا، وهو يزعم أن "أيام الله" المذكورة في سورة إبراهيم في الآية(5)، وسورة الجاثية في الآية(14) ماهي إلا ترجمة عربية للكملة العبرية "ميلهامت ياحوا" التي ذكرت في سفر العدد، الإصحاح (21)الآية(14)حيث يقول : "مثلما تذكر سورة الجاثية في الآية(91)و بتعاليم أجداده، فإن سورة إبراهيم تأمر موسى صراحة بتذكير شعبه بأيام الله، وماهذه العبارة إلا تعريب لكلمة "ميلهامت ياحوا" التي جاءت في سفر العدد الإصحاح(21) وقد حصل هذا التعريب بالقياس إلى ما هو معروف بأيام العرب"، لكن رد الدكتور بدوي لم يترك المجال لهوروفيتز، فقد كان حازما على عادته فقال: "كيف توصل هوروفيتز إلى هذه النتيجة؟ لاندري، أما هو فلم يفسر كيف توصل لذلك، هذا هو نص سفر العدد الذي استشهد به هوروفيتز: "لذلك يقال في كتاب حروب الرب (ميلهامت ياحوا) واهب في سوفه وأودية أرنون"، إن هذا النص هو الجزء الوحيد المتبقى من مقتطفات النصوص الملحمية اليهودية... كيف يمكن إذن أن يكون محمد (ص) قد استلهم منه عبارة "أيام الله"؟هل يكون محمد قد علم بمحتوى قصة حروب الله التي لايعلم تفاصيلها اليهود أنفسهم، والتي لم يبق منها سوى هذا الجزء من الآية14 من الإصحاح الواحد والعشرين من سفر العدد؟ يالله من اختلال في التفكير، وقد تميز هوروفيتز ببراعته في هذا المجال"

وهنا ذكر بدوي تفسير "أيام الله"، في المصادر العربية وعند العلماء المسلمين ذهبوا إلى أن المقصود منها، نعم الله عز وجل ونقمه التي تتوالى بتوالي أيام الله، وهو أمر بعيد كل البعد عما ذهب إليه هوروفيتز، فضلا عن كون النص اليهودي نفسه مفقودا كما سبق القول.

ولاية المظالم في الحكومة الإسلامية

إعداد الاستاذ: عبد القادر العافية

الهدف الأساسي من إنشاء مؤسسات الحكومة الإسلامية إقامة العدل، والعدل كما قيل قديما: أساس الملك، والإسلام من اهم مبادئه إقامة العدل، والحث على التمسك به، والقرآن الكريم ألح على إقامة العدل في كثير من الأيات البينات من كتاب الله عز وجل، منها قوله تعالى:"ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"سورة الحديد/الأية:25، والقسط هو العدل، وقال تعالى: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" سورة النساء/الأية:58، وقال سبحانه مخاطبا نبيه داود عليه السلام: "ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولاتتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله" سورة ص/الأية:26، وقال تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون"سورة النحل/الأية:90 وقال سبحانه:"ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى"سورة المائدة/الأية:8، وقال تعالى:"ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله ولو على أنفسكم أوالوا الدين والأقربين"سورة النساء/الأية:135. وورد في الحديث النبوي الذي رواه المنذري في الترغيب والترهيب: "عدل ساعة خير من عبادة أربعين سنة" وفي الحديث القدسي يقول الحق جل جلاله:"ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما"

وفي الصحيح أنه (ص) قال: الظلم ظلمات يوم القيامة" والله تعالى يقول: " ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون"سورة ابراهيم/الأية:45.

فالعدل مبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية ومطلب أكيد، وهو لايتحقق إلا بالوقوف في وجه الظالم، وبذلك تطمئن القلوب وتصان الحقوق، وتستقر الحياة...وبسيادة العدل ورفع الظلم يتقى الناس غضب الله الذي يقول سبحانه:"وماكنا مهلكي القرى إلاواهلها ظالمون" سورة القصص/الأية:59.

واتفق علماء الأمة على أن رفع الظلم واجب، وان نصر المظلوم فرض كفاية، فإذا تحقق العدل سقط الإثم، وإلا أثِمَ الجميع، ويصبح رفع الظلم فرضا عينيا على من لم القدرة على رفعه، دون أن يترتب على ذلك مفسدة أشد.

فالانتصاب لرفع الظلم، ورد المظالم إلى أهلها واجب على الأمة، وعلى ولي أمرها أن يعين من يتحدى لرفع الظلم عن الناس، وذلك بتعيين القضاة، والولاة، والحكام، وإقامة المؤسسات التي يكون من شأنها أن تضمن حقوق الإنسان.

وقديما فكر المصلحون والقادة في رفع الظلم عن الناس خشية الفتن والإفساد في الأرض مصداقا لقوله تعالى: "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدة الأرض" سورة البقرة/الأية:251 ولذلك أوصى ملوك الصين، والفرس، والهند، وغيرهم بإقامة العدل، وفكر بعض زعماء العرب في الجاهلية في التحالف فيما بينهم على نصرة المظلوم وتذكر كتب السيرة النبوية أنه (ص): قال: لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حُمْرُ النَعَم، ولو دُعِيتُ إليه في الإسلام لأجبت" يتذكر هذا (ص) ، وقد كان إبان عقد هذا الحلف في العشرين من عمره (ص) فاهتمام رسولنا (ص) بأمر العدل والانصاف كان مجبولا عليه منذ صغره، وكان هذا الحلف بين بني هاشم، وبني المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة ابن كلاب وبني تيم. وفي صدر الإسلام يذكر الماوردي وغيره أنه (ص) نظر في المظالم، في النزاع الذي كان بين: الزبير بن العوام، واحد الانصار على الماء، فحضر (ص) بنفسه وقال: "اسق يازبير، ثم أرسل إلى جارك، فقال: الأنصاري:إنه لابن عمتك يارسول الله، فغضب (ص) وقال: يازبير اسق، ثم احبس حتى يرجع الماء إلى الجذر..." قال الزبير (ض) في هذه النازلة، نزل قول الله تعالى: "فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما..." سورة النساء/الأية:65.

وورد في خطبة أبي بكر الصديق (ض) أنه قال لما ولي الخلافة: "ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه" فهو (ض) عزم على أن يلي أمور المظالم بنفسه لحرصه على إقامة العدل بين الناس.

واهتم عمر بن الخطاب (ض) بترسيخ قواعد العدل، وبتتبع قضايا المظالم، وكان (ض) يقتص من عماله إذا ثبت على أحدهم تجاوز حدوده، ويجمع بينه وبين من شكاه، روى ابن جرير الطبري في تاريخه أن عمر (ض) قال: أيها الناس، إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليأخذوا أموالكم، ويضربوا أبشاركم ، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم، وسنتكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفس عمر بيده، لاقتضت منه" ثم قال الطبري: كان عمر شديد على أهل الريب، وكان صلبا في حق الله حتى يستخرجه، وكان بالضعيف رحيما".

ولشدة اعتناء عمر بن الخطاب (ض) بإقامة العدل كان له مفتش يراقب سير العمال والولاة، وهو الصحابي الجليل محمد بن مسلمة الأنصاري (ض) قال عنه ابن حجر في الاصابة: كان عند عمر معدا لكشف الأمور المعضلة في البلاد، وهو الذي بعثه عمر (ض) لمعرفة حقيقة ماوصله عن سعد بن أبي وقاص (ض) حين بنى قصرا بالكوفة، وجعل له بابا بينه وبين الناس... وأمره بإحراق الباب، ومحمد بن مسلمة هو الذي تولى الكشف من الشكايات المرفوعة لعمر بأمير حمص، عياض بن غنم، حين ناداه أحد الناس بشارع من شوارع المدينة،

الحلقة الأولى

قائلا: ماأراك إلا تستعمل عمالك وتعهد إليهم العهود، وترى أن ذلك قد أجزاك، والله إنك لمأخوذ بهم إن لم تتعهدهم" فبعث عمر محمد بن مسلمة وقال له: الحق بعياض في حمص.

فوظيفة تتبع المظالم والحسم فيها بدأ من عهد رسول الله (ص) وعهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب(ض)، كل واحد منهم كان يلي أمور المظالم بنفسه، وما ذكر المقريزي في الخطط: من أن علي بن أبي طالب (ض) هو أول من تولى المظالم من الخلفاء الراشدين لايتفق مع ما عهد عنهم في هذا المجال من تتبع المظالم والشدة فيها، وكان عمر (ض) في ذلك مثالا يحتدى.

وفي العهد الأموي تولى عبد الملك بن مروان النظر في المظالم بنفسه، وإذا وجد مايحتاج إلى حكم قضائي رده إلى قاضيه أبي ادريس الخولاني قاضي دمشق فيأمر عبد الملك بالتنفيذ.

وفي العهد الأموي كان لأمراء الامصار سلطة واسعة لايشاركهم فيها أحد سوى القاضي الذي له سلطة القضاء والحكم بين الناس.

وكان القاضي يشارك الخليفة والامير في سلطة الحكم في بعض الامور، وكانت غالب أحكام القضاة في الاحوال الشخصية وشؤون اليتامى والارامل والعقار والتعامل التجاري.

فالسلطة في الامصار كانت بين الامير والقاضي، ويعتبر الامير ممثل الخليفة ومنفذ الاحكام، وفي كثير من الأحيان كان الامراء هم الذين يولون القضاة في إمارتهم ويختارونهم من بين العلماء والفقهاء.

وفي هذا العهد كان الخليفة إذا أراد أن يرشح أحدا لمنصب القاضي استشار المحيطين به من العلماء والثقات، واشتهر في هذا العهد القاضي أبو ادريس الخولاني الذي تولى القضاء لعبد الملك بن مروان ولبعض الخلفاء بعده.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ووقف في وجه بني أمية، وشدد عليهم، وأعطى ولاية المظالم ماتستحقه من العناية، وكتب إلى عماله وولاته، ووفد عليه المتظلمون ومن ذلك أن رجلا من عدن جاء متظلما، قائلا يا أمير المؤمنين أمرت من كان متظلما أن يأتيك؟قال نعم، قال قد أتاك مظلوم بعيد الدار، قال عمر: وأين اهلك؟ قال: بعدن، وكتب إلى أميره عروة بن محمد أن ينظر في قضيته، وعمر بن عبد العزيز (ض)، هو الذي أجبر بني أمية . وهم من هم . على رد مظالم الناس، ولم يعبأ بغضبهم ولاابابه بامتعاضهم، ولما قال له بعضهم إنا نخاف عليك العواقب، قال كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وُقِيتُهُ".

وقد ترأس ولاية المظالم أشهر خلفاء الدولة العباسية: كالمهدي، والهادي، والرشيد، والمامون، والمعتصم، والمهتدي وكان المعتصم شديدا في هذا الأمر.

وكان المهتدي يجلس للمظالم، وشكا رجل بابن الخليفة العباس، فأمر بإحضاره وأجلسه إلى جنب الرجل، وأخذ للرجل حقه، وفي عهد بني العباس عرفت ولاية المظالم تنظيما محكما، وكان لها ديوان خاص، عرف بديوان المظالم، وهو هيئة قضائية عليا، وأصبحت سلطة المظالم أعلى بكثير من سلطة القاضي، وكانت محكمة المظالم تعقد بالمسجد، وفي عهد المهتدي بنى لها قبلة، لها أربعة أبواب، سماها قبة المظالم.

واعتنى بولاية المظالم بنو أمية بالأندلس، ونصبوا وزيرا للمظالم، إلا أنهم تركوا النفوذ فيها بيد القضاة الذين كان حكمهم نافذا على الرؤساء والأمراء.

والمتتبع لتطور ولاية المظالم يلاحظ أن الدول الخارجة عن سلطة الخلافة العباسية، كالامويين بالأندلس، والفاطميين بمصر، والأيوبيين من بعدهم، وغيرهم من الدويلات والامارات... يلاحظ الدارس أن هذه الدول كان لها اهتمام بإقامة ولاية المظالم، كل بطريقته، وهذا يدل على مكانة هذه الخطة وعلى أهميتها عند حكام المسلمين، وكان يتولاها الامير نفسه أو يجعل لها واليا خاصا، أو يكلف بها القضاة بإشراف من الخليفة أو الامير، يقول ابن خلدون: "وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم، وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصفة القضاء..." ويقول الماوردي: "من شروط النظر في ولاية المظالم أن يكون الوالي جليل القدر، نافذ الأمر عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، وهو في نظره في المظالم يحتاج إلى سطوة الحماة، وتثبت القضاة..." وهذا مايؤكده ابن خلدون بقوله: "وتحتاج ولاية المظالم إلى علو يد، وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدي، وكان والي المظالم، يمضي مايعجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه، ويكون نظره في البينات، والتقرير، واعتماد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من نظر القاضي.... وكان بعض الخلفاء يجعلونها لقضاتهم، كما فعله المامون ليحيى بن أكثم، والمعتصم لاحمد بن أبي دؤاد..."

ويقول ابن خلدون بعد ذلك: "وكان النظر في الجرائم أيضا، وإقامة الحدود في الدولة العباسية، والأموية بالأندلس والعبيديين بمصر، والمغرب، راجعا إلى صاحب الشرطة، وهي وظيفة أخرى دينية، وكانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول، توسع النظر فيها عن أحكام القضاة..."المقدمة:166.

ويستفاد من ابن خلدون أنه لما ضعف أمر الخلفاء أصبح أمر المظالم راجعا إلى السلطان بتفويض منه أو بدونه.

الظاهرة الإجرامية وسبل الوقاية منها في ظل تشريع الإسلام

■ إعداد الأستاذ: أحمد تشيكرت

الحلقة الثالثة

القسم الثالث : منهج الإسلام في محاربة ظاهرة الجريمة

وضع الإسلام منهجا متكاملا لمحاربة ظاهرة الجريمة على المستوى الوقائي وعلى مستوى المعالجة بعد الوقوع.

أ -فعلى المستوى الوقائي:

اعتنى الإسلام بتربية ضمير الفرد، وجعل الإيمان لديه خير موجه له في معاملاته مع نفسه، ومع غيره ، فالإسلام حرم العدوان ودعا إلى الحلم والصفح والعفو. قال الله تعالى: «سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » سورة آل عمران 123-124.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم»الا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات قالوا: نعم يارسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» رواه الطبراني . وقال أيضا: «ليس المسلم بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ» رواه الترمذي. والمسلم لا يتحقق إسلامه إلا إذا سلم المسلمون من شره، كما أن المؤمن لايكمل إيمانه إلا إذا أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم. ويقول النبي (صل الله عليه وسلم) : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فنفس الإنسان في الإسلام معصومة لايجوز الاعتداء عليها، أو النيل منها، وكذلك مال الإنسان معصوم لا يوخذ منه شيء إلا بحقه، وكذلك عرض الإنسان ، لايهان ولا يخدش. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول» كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه ابن ماجة وأبوداود.

والمسلم حين يعيش بالإسلام يصبح روحا طيبة لايؤذي غيره بكل أنواع الإذاية المشار إليها سابقا . إنه يد تعطي ولا تضرب، تعين في الحاجات ولاتؤذي أحدا . ولا ينتهز فرصة ضعف الغير لسفك الدماءوإزهاق الأرواح من أجل حطام مادي زائل .وهكذا سد الإسلام على المسلم أبواب الشر حتى لا يقع في الهلاك، فحياة المسلم معاشرة بالحسنى، وخلقه مع إخوانه هو التواضع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: «لايشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار» متفق عليه.

كما نهى عن التقاء المسلمين وتقاتلهما وحذرهما من النار- القاتل والمقتول - لأن كلا منهما حمل سلاحه ضد الأخر.

فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» ولما سئل عن علة دخول المقتول النار ، وهو المجني عليه قال : « إنه كان يحرص على قتل صاحبه » رواه مسلم.

فمادام قد حمل السلاح فمعنى ذلك سوء نيته، والأعمال بالنيات ولو أتيح له قتل صاحبه لما تمهل في ذلك فكان هذا المصير حريا بهما معا.

والإسلام بنظرته الشمولية يقتلع جذور الجريمة من أي جهة كانت، فقد يكون مصدر الجريمة ناتجا من عوامل الإحباط والحرمان والظلم في المجتمع وهذه العوامل تثير الغضب والحقد في النفوس فينعدم معها الأمن، لذلك وضع لها العلاج الناجع المتمثل في تنشئة النفوس على فعل الخير وإسداء المعروف، وأمر بالزكاة وجعلها حقا للفقراء في أموال الأغنياء ، وحث على رعاية اليتيم ومساعدة العاجز والمسكين لتخفيف ما يعانونه من إحباط وحرمان وظلم، فلو تراحم الناس فيما بينهم وأخرجوا زكاة أموالهم زكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وسعد غنيهم وفقيرهم وأمن ضعيفهم وقويهم؛ قال الله تعالى في بيان حكمة فرضية الزكاة : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم » سورة التوبة/ الآية 103.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان فضل الزكاة في علاج الحرمان والإحباط... «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهدوا إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم . ألا وإن الله محاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما» وقال : «تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل ، قال أيضا» من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره» -فقه السنة المجلد الأول ص: 332.

ومما يدخل في هذا الشمول الذي أشير إليه آنفا: حسن تربية الأولاد وتنشئتهم على الخير، فلا يعاملون بالقسوة ولا بالتدليل فكلاهما لاخير فيه، ومن الضروري أن تكون تربية الأبناء مبنية على المحبة والتعاون والرحمة مع تعويدهم على ضبط النفس عند الغضب، والتسامح مع من أساء إليهم ، وعدم تشجيعهم على العدوان، وعلى الأباء أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في نبذ العدوان وفي ضبط النفس وفي التسامح والتعاون حتى يستمد الأبناء من ذلك نماذج طيبة من سلوك آبائهم.

الأطوار التي مرت بها القراءات القرآنية

إعداد الدكتور: محمد حمان

القراءات في عهد أئمة الإقراء وبعدهم:

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن قراءة جميع الأئمة العشرة المعترف بإمامتهم في ميدان الإقراء تعتبر متواترة، بمعنى أنها منقولة عن النبي (ص) بالسند المتواتر على ماحققه المختصون من العلماء الباحثين في هذا الشأن.

وماوضعه علماء القراءات من ضوابط وقواعد وأركان لكي تعتبر القراءة صحيحة كان له مفعوله القوي في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

فعلى أساس تلك الضوابط والقواعد عرف القراء المشهورون وقصدهم الناس من كل مكان، واعترف لهم الخاص والعام بالإمامة في علم القراءات القرآنية وبالمقابل صارت القراءات التي تفتقد ركنا من تلك الأركان أو شرطا من تلك الشروط معدودة من الشواذ التي لايجوز أن يقرأ بها القرآن بحال من الأحوال.

ويلاحظ في هذه الفترة وجود نوع من التشابه بين المجتهدين من أئمة القراءات، وبين المجتهدين من أئمة الفقه الإسلامي، حيث كان لكلا الفريقين تلاميذ عملوا على نشر ماتلقوه عن أساتذتهم، فانتشرت المذاهب الفقهية في شتى أنحاء العالم عن طريق التلاميذ الفقهاء، كما عمت القراءات القرآنية جميع البلدان الإسلامية بواسطة التلاميذ القراء واختلفت مناطق النفوذ بالنسبة لكل مذهب فقهي كتب له البقاء والاستمرار.

والقراءات هي الأخرى كذلك اختلفت الأماكن التي راجت فيها هذه القراءة أو تلك، وعرفت الاجتهادات الفقهية نموا وازدهارا وتقدما في صدر الإسلام على يد كبار الفقهاء المجتهدين من الصحابة والتابعين وأتباعهم، كما عرفت القراءات القرآنية في عهد السلف الصالح نهضة قوية مباركة تمثلت في تلك الجموع الغفيرة التي تفرغت لخدمة الكتاب العزيز محافظة على ما ثبت عن رسول الله (ص) من أوجه القراءات.

القراءات بعد أئمة الإقراء

مع نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث انتهى عهد أئمة القراءات، وبدأ عهد الآخذين عنهم من الرواة المباشرين أو بالوسائط، وهكذا زادت قراءات القراء الكبار رواجا وانتشارا في كل أنحاء العالم الإسلامي أثناء القرن الثالث حيث بدأ التأليف في القراءات وضبطت الروايات والطرق بتدوينها من طرف العلماء القراء الباحثين الذين ميزوا الحق من الباطل بوضعهم لذلك المقياس الدقيق الذي مكنهم من معرفة أصح القراءات وأفضل القراء وأضبط الرواة وأنجع الطرق وأسمى الوجوه.

ومن خلال ماقدمناه عن القراءالعشرة والرواة عنهم بتلك الطرق المتسلسلة يتبين أن القراءات الصحيحة حصرها العلماء المهتمون بميدان الإقراء في هؤلاء الأئمة الأقطاب.

ومع مرور الزمن أصبح لكل قراءة خدام أوفياء، ولكل قارئ أتباع يناصرونه فيما ذهب إليه في قراءته، وبذلك حدث في مجال القراءات ما حدث في المجال الفقهي، حيث تمذهب القراء كما تمذهب الفقهاء.

فالمغاربة مثلا الذين اشتهروا بقراءة كتاب الله وحفظه حفظا كاملا تمسكوا بقراءة نافع مع اختيارهم لرواية ورش، وتفانوا في خدمة هذه القراءة من القراءات السبع بتلك الطريقة التي تمرسوا بها حتى أصبحت في منتهى اليسر والسهولة لدى عموم قراء المغرب.

وبذلك أصبحت قراءة حمزة التي كانت منتشرة من قبل بين عموم القراء من أبناء المغرب لايهتم بها إلا أقل القليل من القارئين للقرآن الكريم في هذا البلد الإسلامي الكريم.

محمد الخضر الريسوني

الطيور لن تغرد على وقع طبول الحرب

في زيارة إلى بيت صديق مهووس بحب الطيور واقتناص اقفاصها المزخرفة فوجئت به يضع أمامي قفصا بداخله طير أصفر الريش ، وهو يقوم بحركات بهلوانية سريعة بين أسلاك القفص وقال لي:

- اسمع يا أخي هذا طائر الكنار اشتريته من جزر (Las Canarias) تربطني به صداقة طيبة، وما أن يسمع صفيري عندما اقترب منه حتى يشرع في الغناء ، وجعلت أتفحص عيني الكنار الذكيتين الحلوتين وهو يرسل أغاريده المتماوجة مع حركات حنجرته صعودا وهبوطا ورجلاه متشبثتان بعود رقيق من الخشب . إنه أشبه ما يكون بمايسترو في مهرجان موسيقي. ولا أدري لماذا شطح بي في تلك اللحظة خيال أليم مس شغاف نفسي وأنا أتابع على شاشة التلفزيون صور حاملات الطائرات وأنواعا شتى من القاذفات العملاقة وهي تتوجه لأداء مهمتها من العدوان على العراق، ولتصب عليه القنابل المحرقة المخصبة بالأورانيوم من وزن سبعة أطنان ، تصورت كم من طفل في عمر الزهور سيسقط في تلك الليلة الظلماء، وكم من طيور ستحترق وتصمت عن التغريد، وداخلني شك مريب ، وتساءلت في حسرة: ياترى هل المحرضون على قتل الأطفال والطيور يمكن تصنيفهم بين الآدميين؟ وهل يتوفرون على مشاعر إنسانية ، وقلوب يغمرها الحب لكل ماهو جميل في الحياة؟ أم يحملون في أعماقهم كراهية وشرا للإنسان. لقد مات الآلاف من أطفال العراق خلال أحد عشر عاما من الحصار بسبب فقدان الغذاء والدواء، وربما ستموت ملايين الطيور هي الأخرى وتسقط من أعشاشها بسبب القصف الحارق الذي يطال الإنسان والحياة معا.

إن غريزة المتجبرين لممارسة أدوار الشر ليست جديدة على الجنس البشري ، فلقد عرف التاريخ فرعون وقتلة الأنبياء وجنكيز خان وهولاكو، وتيمور وغيرهم، لكنهم مع ذلك كانوا أرحم قليلا على الإنسان بالنسبة لطواغيت العصر الذين يملكون أسلحة الدمار الشامل ، وإيف 16 وطائرات " أباتشي" كان أولائك يستعملون في هجومهم سيوفا ورماحا وخناجر ، إنما الطواغيت في زماننا يلقون قذائفهم عشوائيا على الأرض دون تمييز بين طفل وشيخ وشجرة، طواقم طائراتهم المهاجمة الضخمة يجسون بأصابعهم على الأزرار، وعلى إيقاع قهقهاتهم وإشارات النصر البلهاء يطلقون الجحيم الذي يحرق الأخضر واليابس، وكما حدث في مدينة هيروشيما اليابانية عند ما قذفوها بقنبلة ذرية أتت على مآت الآلاف من الضحايا.

إن قلبي في ليل المحنة القادمة إلى الشرق من وراء المحيط يدق إشفاقا على الأطفال والطيور، إني أخشى عليها من شظية تصيبها فتصمت الطيور عن الغناء، والأطفال عن الضحكات البريئة.

لقد تعالت أصوات تجار الحرب ، وراحوا يصرخون ويدقون الطبول، يحنون إلى قتل أطفال العراق وطيوره بعد أن نزع الله من قلوبهم الرحمة والشفقة على الإنسان.

ماذا بعد استنساخ البشر؟

■ طارق قابيل

أصبح استنساخ البشر قاب قوسين أو أدنى، وإذا تحقق هذا الحلم الذي راود الكثير من العلماء من قبل، فلن يزيدهم ذلك إلا نهما متواصلا لاغتراف المزيد من كنوز العلم والمعرفة المكنونة التي أودعها الله في مخلوقاته.

لكن العالم قد ينزلق إلى عصر جديد من البوجينية "تحسين النسل البشري" عما قريب، عندما لاتقتصر تجارب الاستنساخ على تلك المخصصة للعلاج إلى تلك التي قد يصبح الاستنساخ فيها من أجل التغلب على العقم وغيره من صور التناسل التي تفضي إلى خلق بشرية مصطنعة إلى جانب البشرية الطبيعية التي نشأت وتطورت عبر دهور التاريخ.

رغم المعارضة الأخلاقية والدينية الشديدة لهذا العبث، فما زال بعض الخبراء يستعينون بتقنيات الإخصاب المتقدمة وتقنيات الاستنساخ لتحقيق هذا الحلم للعديد من القادرين الذين يجوبون الكرة الأرضية بحثا عن مكان يسمح بهذا العمل، ويطور العلماء تقنيات الإخصاب بشكل متسارع، ويستعينون بالتقدم في تقنيات الاستنساخ والتحوير الوراثي والمعالجة الجينية الإنجابية المتقدمة لهندسة الخط الجرثومي(line - Germ) البشري، بحيث يتم إنتاج أطفال حسب الطلب وحسب رغبة الآباء، ضاربين عرض الحائط بكل القيم والأخلاق وتعاليم الأديان.

ومن الممكن استغلال هذه التقنيات المتقدمة في علاج الكثير من الأمراض الوراثية في الأجنة، قبل بدء الحمل، ولذلك فمن المستحيل إقناع الجميع بالكف عن البحوث في هذا المجال، ولكنه في الوقت نفسه فقد ظهرت إرهاصات كثيرة تدل بلا جدال على رغبة البعض في الحصول على أطفال "سوبر" بلا أمراض وبمزايا محددة، كمايصعب التغلب على هذه الرغبة الجامحة لدى البعض الآخر، فما زال هناك من يصر إصرار عارما على استنساخ البشر، بالرغم من الحظر المفروض على هذه البحوث في شتى بقاع العالم.

سياحة إنجابية

لقد تحول التقدم العلمي في الطب والإخصاب والهندسة الوراثية بالفعل إلى تجارة، ويسعى مصممو الأطفال لتصميم نموذج هندسي لمواصفات الطفل الكامل، أو حسب طلب الزبائن الأغنياء، وتدعي الوكالات العلمية العاملة في هذا المجال أنها ترغب في ضمان أفضل المواصفات الجينية للطفل المخلق بهذه الطريقة.

ومن المعروف أن تقنيات الإخصاب خارج الرحم وتقنيات الاستنساخ قدمت إمكانات أكبر، وتستطيع هذه التقنية حاليا إنتاج مولود يشارك فيه عدد كبير من الآباء والأمهات مثل: واهب الحيوان المنوي، واهبة البييضة، حاملة البييضة الملقحة، بالإضافة للأم والأب اللذين يرعيان الوليد، كما يمكن دمج بييضة الأم ببييضة أخرى لامرأة واهبة لحل مشاكل بالإخصاب. وقد أثارت السيدة الفرنسية "جيانين سالومون" جدالا عنيفا بعد أن وضعت طفلا نتج من خلال علاقة ثلاثية: حيوان منوي من شقيقها البالغ من العمر (52عاما)، وبييضة من سيدة أمريكية، وشكل رحمها الطرف الثالث من هذه العلاقة العبثية، وبالرغم من أنها بلغت من العمر (62عاما) فإنها أصرت على الإنجاب لعدم وجود وريث للعائلة.

ويفضل الراغبون في الإنجاب التوجه إلى البلدان الأخرى إذا كانت هناك بعض القيود تمنع تحقيق رغبتهم في بلدانهم. ونظرا لعدم قانونية الاتجار في البييضات المخصبة داخل بريطانيا . على سبيل المثال. فقد وجد الراغبون في الإنجاب ضالتهم في أمريكا، حيث التشريعات الأمريكية أكثر تساهلا في هذا المجال، وأفادت تقارير أمريكية وبريطانية بحدوث ارتفاع كبير في عدد البريطانيين الذين يقدمون على شراء بييضات بشرية مخصبة عبر الانترنت من أمريكا، وأن عدد الأزواج الذين يشترون بييضات مخصبة قد تضاعف ثلاث مرات. وبالرغم من أن سعر البييضة لايزيد عن خمسة آلاف دولار، فإن قيمة الصفقة بكاملها مع تكاليفها القانونية قد تبلغ عشرين ألف دولار أمريكي. وتمكن القوانين الأمريكية المتساهلة في هذا الصدد من اختيار المتبرع أو المتبرعة المناسبين للطفل المرتقب، إذ يكون بوسعهم انتقاء رجل أو سيدة من ذوي الصحة والجمال من المشاهير، وسهل وجود الإنترنت من الإجراءات اللازمة لبيع وشراء البييضات والحيوانات المنوية البشرية بحرية تامة، مع توافر معلومات كاملة عن أصحابها وصورهم وثقافتهم ووظائفهم وحالته الصحية. وبعد نجاح طبيب إيطالي في مساعدة امرأة في التاسعة والخمسين، وأخرى في الثامنة والستين على الإنجاب، توجهت مجموعة من النساء من العديد من دول العالم إلى إيطاليا لهذا الغرض، ليبدأ عصر جديد من السياحة التي يمكن تسميتها بالسياحة الإنجابية.

موسم حمل الرجال

في الوقت الذي أعلن فيه بعض العلماء المسرفين في التفاؤل عن توصلهم لاكتشاف ينبئ بانقراض الذكور، بعد أن تمكنت باحثة استرالية من التوصل لوسيلة لإخصاب بييضة بخلايا من أي جزء من أجزاء الجسم بدلا من الحيوانات المنوية، كان السيد "لي". الذي نشرت وكالات الأنباء العالمية خبر حمله . يستعد لوضع مولوده الأول، عبد عملية قيصرية تجرى له في لندن بواسطة الدكتور "اكتوفيوس ساربين" الذي أكد أن حالة "لي" مستقرة تماما، والجنين في وضعه الطبيعي، وضغط الدم والنبض طبيعيان للغاية. وأكد الطبيب أن العملية القيصرية لن تستغرق أكثر من ساعتين، بعدها يضع لي أول مولود في التاريخ يخرج إلى الدنيا من بطن رجل.

وحمل "لي" بعد أن تناول هرمونات أنثوية بجرعات عالية ومحسوبة حتى يتم إعداده بطريقة صحيحة لمرحلة الحمل، وفي المرحلة الثانية قام الأطباء بعملية تخصيب مخبري، ثم تم زرع التكوين الجنيني والمثيمة في التجويف الداهي تحت البطانة الداخلية. وعلى الرغم من أن زرع التكوين الجنيني والمشيمة كان محفوفا بالمخاطر بسبب إمكان حدوث نزيف داخل البطن فإن "لي" أصر على استكمال التجربة.

ومن المعروف أن قصة هذا الحمل أثارت ردود فعل محلية وعالمية متباينة، لكن "لي" يقول بكل بساطة: "لماذا لا أخوض تجربة الحمل.. إنها رائعة!!". و"لي" رجل مائة في المائة، ولكنه أراد أن يخوض تجربة الحمل المثيرة، لأنها فكرة قديمة راودته وداعبت خياله وأحلامه، وينصح "لي" أبناء جنسه بأن يتحملوا المسؤولية التاريخية ويخوضوا التجربة ولو مرة واحدة في حياتهم!. ومنذ عدة أيام قال علماء شركة ACTالذين أثاروا موجة من الغضب باستنساخ الأجنة البشرية: إنهم جعلوا بييضة قردة تنمو داخل رحم دون الحاجة إلى سائل منوي في عملية تعرف باسم التوالد البكري. وأضاف أولئك العلماء أن تجاربهم أثبتت إمكانية استخدام هذه الطريقة لتوفير علاج طبي ناجع للنساء، أو ربما باستخدام بيض تتبرع به نساء لعلاج قريبات من الدرجة الأولى.

مصممو المواليد

تأتي هذه الأحداث الغريبة في وقت يشير فيه الخبراء إلى ظهور تقنيات عالية التطور تقود إلى الدخول نحو حقول طبية جديدة، مبهمة الملامح، تبدو وكأنها حقول اختبارات على البشر. وبالطبع لاتخلو هذه التقنيات الجديدة من فوائد عظيمة إذا ما أحسن استغلالها، ومن الأمثلة الواقعية في هذا المجال ما أعلنته الصحف البريطانية في شهر أكتوبر الماضي من أن أول طفل بريطاني "تفصيل" تم اختيار صفاته الوراثية لتوفير نخاع عظمي لشقيقه المريض سيولد في مطلع العام المقبل.

وذكرت الصحف أن زوجين قاما بالسفر إلى الولايات المتحدة، طلبا للعلاج لإنجاب طفل تكون له صفات وراثية قريبة تلائم ابنهما البالغ من العمر أربع سنوات المريض بسرطان الدم. وكالعادة أثارت هذه القضية خلافا حول "أطفال قطع الغيار" حيث انقسم خبراء الطب وأفراد المجتمع بشأن قضية اختيار الصفات الوراثية وعواقبها الأخلاقية. ولكن الزوجين دافعا عن قرارهما، مؤكدين معارضتهما الشديدة لتعبير "الطفل التفصيل" وانهما كانا يعتزمان دوما إنجاب طفل آخر. وقال الدكتور "مايكل ويلكس" رئيس لجنة أخلاقيات المهنة في نقابة الأطباء البريطانية: "إن الهدف من أي عملية علاج للإخصاب حتى اليوم هو إنجاب طفل مرغوب فيه، يجب أن تكون سلامته هي القضية الأساسية".

الوراثية التناسلية و"الإنسان السوبر"

ويتوقع "لي سيلفر" Lee Silver عالم البيولوجيا الجزيئية أن الاستنساخ سيكون أحد البدائل الشائعة للإنجاب في القرن الحادي والعشرين. كما يرى أن الأنثى لن تحتاج بعد الآن للرجل لتحصل على طفل، وأن الزواج الذي يجمع بين أنثى وأنثى سيمكن أصحابه من الإنجاب. واستحدث "لي سيلفر"مصطلحا جديدا لعلم جديد سماه "الوراثة التناسلية"Reprogenetics وهو علم يجمع بين الجديد في تقنيات الوراثة والهندسة الوراثية وتقنيات الإنجاب الحديثة مثل الاستنساخ.

وكان "كريستيان برنارد" الذي قام بأول عملية لزراعة القلب عام 1967 يأمل أن يقبل العالم فكرة "الأطفال حسب الطلب"، وهو ما يمكن آباء وأمهات المستقبل من اختيار أطفالهم من "كتالوج" ذي مواصفات دقيقة. واعترف أن الأطفال حسب الطلب، يمكن أن يقتصروا في البداية على الأغنياء الذين يستطيعون دفع النفقات. ولكنه يقول: إن الممارسة ستكون ميسورة للجميع بمجرد تطويرها وصيرورتها أمرا روتينيا. كما قال برنارد: "إن على رجال الدين أن يتذكروا أن الطبيب مهما أنجز فإنما يتحرك في نطاق الممكنات التي يسرها الله للإنسانية".

وتعتمد تقنية هندسة الخلايا التناسلية حاليا على حقن جينات منتقاة بعناية في الخلايا التناسلية، بحيث يمكن أن يشفى الجنين من الأمراض الوراثية التي يحملها، وبالرغم من أن العلماء لم يتوصلوا حتى الآن للفهم الكامل للأسس الفسيولوجية لعمل الجينات التي تسبب الكثير من الأمراض، فإن بعضهم يفكر الآن في إضافة جينات محددة بعناية للتوصل للإنسان "السوبر"، بالرغم من أن هذا الفكر يمثل ثورة ضد الأخلاقيات البيولوجية المعتمدة في الغرب.

ويبدأ الإجراء بتنمية بييضة مخصبة fertilized egg في المختبر إلى كتلة من نسيج جنيني مبكر ويتم غرز جين فعال في الخلايا .ويتم غرز جين فعال في الخلايا الجنينية بوساطة فيروسات مصممة خصيصا لذلك أو بوساطة نواقل أخرى. وبغرز تسلسل واسم marker sequence مع ذلك الجين يمكن التعرف على الخلايا التي التقطت هذا الجين على نحو صحيح، ومن ثم يمكن غرس (دي إن إيه)DNA إحدى تلك الخلايا في بيضة جديدة تؤخذ من الأم نفسها لتبدأ الحمل من جديد. وفي الخطوة الأخيرة تحل عمليا نسخة cloneصحيحة من الجنين نفسه محل الجنين الأصلي المعيب.

ومن الإبتكارات الجديدة التي تساعد في تحقيق مثل هذه الأفكار العلمية، تمكن العلماء من تخليق كروموزوم صناعي"SATAC Satellite Artificial Chromosomes"وهوكروموزوم يتضاعف مع الكروموزومات الطبيعية في الخلية، وقادر على حمل كميات كبيرة من (دي إن إيه)DNA المصمم بطريقة خاصة، ويمكن نقل هذا الكروموزوم إلى الخلايا بسهولة. وتتكون هذه الكروموزومات من تتابعات منSatellite DNA، وتحتوي أيضا على عناصر وظيفية أخرى مثل السنترومير والتيلوميرات، ويمكن استخدام هذه الكروموزومات كطريقة للعلاج الجيني، وتسير هذه التقنية بخطى سريعة، وهي الآن على مشارف التطبيق في العلاج الطبي.

ويدافع مؤيدو إنتاج الأطفال حسب الطلب عن هذا الأسلوب، ويؤكدون على أنهم يحاولون منع ولادة أطفال بخلل وراثي، وأنهم إذا استطاعوا من خلال ذلك أن يجعلوا الأطفال أجمل وأكثر ذكاء... فلم لا؟.

وبحسب التجارب الإنسانية السابقة، فقد يحاول بعض الأزواج إنتاج أطفال وفق خيالاتهم وأهوائهم بعد أن يمكن هذا الأسلوب الآباء والأمهات من اختيار نوع الجنس الذي يريدونه لأبنائهم، وكذلك لون العينين والشعر، والطول وشكل الوجه. وفي مرحلة لاحقة يمكن التركيز على خصائص أخرى مثل الموهبة الموسيقية، أو غيرها. وقد تحاول الدول المتقدمة إنتاج جيل جديد من الجنود الأشاوس القادرين على التنفس تحت الماء أو الطيران في الهواء، حيث توجد هناك الآن أربعة مراكز علمية على الأقل، بالولايات المتحدة وأوروبا يمكنها أن تنتج أطفالا حسب الطلب.

وتبقى بعد ذلك كله التحذيرات والمخاوف والنداءات الأخلاقية الناتجة عن هذا العبث والتي يبدو أنها تذهب سدى.

الحجاج والمناسك

إعداد الأستاذ حسني محمد / سطات

يستعد الحاج استعداد روحيا وماليا ، ليتحمل مشاق السفر الذي يسفر عن شخصية الإنسان، ويكشف عن أسراره وخباياه في مجال المعاملة والمؤالفة مع غيره، حيث يترك وطنه وأهله ويفقد مألوفه إلى بلد الحرام، يطلب منه أن يكون ممتثلا لحرمته، متأدبا بآداب أوامر نبيه المستمدة من وحي السماء، والتي عمت المكان والزمان بأحداثها في تاريخ مكة المتضمنة للبيت الحرام، والمدينة دار الهجرة... وفي هذه الديار المقدسة لابد للحاج من أخلاقيات يتحلى بها ، وادعية يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ... وحتى ينسجم الحاج مع تلك المقدسات لينال الحج المبرور والسعي المشكور، ويرتبط روحيا وماديا بكل المأمورات النسكية عليه أن يحج ويئج، مرتديا حرمة تلك الأماكن ليرتبط الطالب بالمطلوب، ويخوض الحاج في رحمة التوبة والاستغفار، مناجيا وملبيا متضرعا مشغولا بربه، شاعرا بهيمنة الإحسان عليه، حيث لا يقصد شيئا غير ربه ، الذي يتجلى له في بيته، وفي مقدسه العالي الأمثل، ومركز الدنيا، البيت ورحابه ، ومهابط الوحي به، والتجليات الربانية ، والفتوحات الإلهية ، والإلهامات القدسية ، والنفحات السرمدية الأبدية.

أخلاقيات لابد للحاج منها،

يتوجه الحاج إلى مكة المكرمة، ويتحمل مشاقا ومتاعب عليه أن يتحملها بكل صبر وثقة، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال: السفرة قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضي أحدكم نهمته من سفره فليجعل إلى أهله) . رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم داعيا المؤمنين إلى التعجيل بالحج:(من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة، وتعرض الحاجة) – رواه ابن ماجة وأحمد. والحج واجب وفرض على كل مسلم قادر مستطيع، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله فرض عليكم الحج فحجوا ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت، فنزل قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) سورة المائدة الآية101، وفي حديث آخر عن أنس بن مالك قال ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم الحج في كل عام ، قالوا لو قلت نعم لوجبت ، والذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما ذكره مسلم هو الأقرع بن حابس.

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحج لما فيه من فوائد، فهو ينفي الفقر والذنوب بنص الحديث الشريف.

يقول عمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد) – رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة .

فالعابد لله سبحانه وتعالى مفتقر إلى الله في قصده، ولذلك فهو يحرق ذنوبه ، ويتخلص منها ، لتعلقه بربه في مواقف تسكب بها العبرات ، ويتعلق العباد بأذيال بيته الكريم متدللين ضار عين لله غفران الذنوب وحط الخطايا ، فعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة ومالك . فالحج المبرور هو الذي لا تخالطه معصية ، وثوابه هو الجنة . فهذه المناسك لا تحتمل الخبث ، ولا المعاصي، فعن أبي هريرة قال الرسول صلى الله عليه ووسلم :(من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق روجع كما ولدته أمه)- رواه البخاري والنسائي وابن ماجة. لم يفسق بعد ذلك لا في الحال ولا في المآل، ولم يرفث ، قال الزهري أن الرفث كلمة جامعة لكل ما يمكن أن يطلبه الرجل من المرأة، وخاصة كل ما يتعلق بشهوة.

ويقصد الحاج بيت ربه الحرام دون رياء أو طلب سمعة أو رجاء صيت ، ولا يخرج رافلا في ثيابه متكبرا في سلوكه، عنيدا في أخلاقه، وإنما يتحلى بتحلية الخلق الحسن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول أنس بن مالك حج على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم، وقال اللهم حجة لا رياء فيها ولاسمعة.

دعاء الحاج مستجاب،

الحجاج وفد الله إن دعوه أجابهم، وإن استغفروا غفر لهم ويوازن الرسول صلى الله عليه وسلم بين ثلاثة: الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر، فهؤلاء الذين خرجوا وقصدوا بين حبيبهم الذي سالت دموعهم على ماقيهم حبا فيه ورغبة في لقائه، وكأن الحاج يحمل كفنه، ويدخل في حرم الله سبحانه وتعالى راجيا رحمته، ليس له ملاذ سواه، يحمل سلاحه معه : دعاء والوضوء والصلاة والاستغفار والابتهال والتضرع والتدلل، فهذا عمر رضي الله عنه يستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في العمرة فيأذن له، وقال له ياأخي، أشركنا في شيء من دعائك ولا تنسنا وقالت أم الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:(دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك يؤمن على دعائه كلما دعا له بخير قال آمين ولك بمثله) – رواه ابن ماجة في سننه، فهذا في حالات متعددة وفي أوقات مختلفة فما بال الإنسان في الحج والدعاء في الأماكن المقدسة.

من أوصاف الحاج في هذه الأراضي المقدسة

فعن ابن عمرأن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم قال: يارسول الله فما الجاج؟ قال: الشعث التفل" . فالشعث هو الوسيخ البدن، والتفل وهو الذي يبتعد عن الطيب وتشم منه رائحة بدنه) ، وقال آخر يارسول الله ما الحج؟ قال " العجوالثج" قال وكيع يعني بالعج هو العجيج بالتلبية، والثج هو نحر البدن) – رواه ابن ماجة في سننه.

والحج هو جهاد للنساء ، ولكنه جهاد لا قتال فيه وهذا ما أتبثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده عن سؤال عائشة رضي الله عنها قالت : يارسول الله أعلى النساء جهاد قال: نعم جهاد لا قتال فيه " الحج والعمرة " . وعن أم سلمة قالت قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الحج جهاد كل ضعيف) رواه ابن ماجة وأحمد

كما يمكن للحاج أن يحج عن غيره حتى يسري الخير على الأخرين ، ويتوسع المعروف ، ويتجدد الشعور بالأخرين . فعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم من شبرمة؟ قال قريب لي، قال هل حججت؟ قال: لا قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة. وعن ابن عباس كذلك قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحج عن أبي؟ قال نعم حج عن أبيك فإن لم تزده خيرا لم تزده شرا. وعن أبي الغوث بن حصين أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه الذي مات ولم يحج قال له حج عن أبيك، وكذلك الصيام في النذر يقضي عنه.

وعن عمر بن أوس عن أبي زريد العقيلي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(يارسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال: حج عن أبيك واعتمر) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة. وقال أنه لو كان على أبيك دين قضيته ، ويمكن للحاج أو الحاجة أن تحمل معها صبيا، ويكون للحاج أجر حمله، والحج به وله حج كذلك.

عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : رفعت امرأة صبيا لها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة فقالت: يارسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر، وعن النفساء والحائض فإنها تغتسل وتهل ولا يمكن لها أن تطوف إلا إذا دعت الضرورة ذلك فتتشفر وتتجهز للرحيل مع أهلها. فعن عائشة قالت نفست أسماء بنت عميس بالشجرة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل، فأسماء بنت عميس ولدت عند الشجرة(أي بذي الحليفة) ، حيث أمرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تغتسل ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الناس إلا أنها لا تطوف بالبيت.

الإحرام والتلبية،

عن نافع عن ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل رجله في الغرز واستوت به راحلته، أهل من مسجد ذي الحليفة، وقال لبيك بعمرة وحجة معا وذلك في حجة الوداع . وقال ابن عمرلقد تلقفت التلبية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. وفي التلبية عن سهل بن سعد الساعدي عن الرسول صلى اله عليه وسلم قال: (ما من ملبي يلبي إلا لبى عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا) رواه ابن ماجة في سننه. ويمكن للحاج أن يرفع صوته وهو يردد التلبية. فعن خلاد بن السائب عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: جاءني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال، وقال له جبريل عليه السلام كما ورد في سنن بن ماجة: (يامحمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعار الحج) رواه ابن ماجة . ويقول أبو بكر الصديق أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن أي الأعمال أفضل قال:" العج والثج" والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج هو سيلان دم الهدي والأضاحي في ساحات منى.

فعن جابر بن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من محرم يضحي لله يومه يلبي حتى تغيب الشمس إلا غابت يذنوبه فعاد كما ولدته أمه). رواه ابن ماجة في سننه.

ودخول الحرم ، يقول عبد الله بن عباس أن الأنبياء كانت تدخل الحرم مشاة حفاة، ويطوفون بالبيت، ويقضون المناسك حفاة مشاة، والأنبياء طافوا المسجد إلا صالح وغيره كما يقول العلماء في قصص الأنبياء، وكانوا يطوفون ويسلمون على الحجر الأسود كما قال عبد الله بن سرجس، قال رأيت الأصلع عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول إني لأقبلك، واني لأعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ليأتين هذا الحجر يوم القيامة، وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من يستلمه بحق) رواه ابن ماجة في سننه. ولقد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الحجر وبكى طويلا، والتفت الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد عمر بن الخطاب يبكي ببكاء الرسول صلى اله عليه وسلم فقال:(ياعمر هاهنا تسكب العبرات) رواه ابن ماجة في سننه.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا طاف البيت الطواف الأول رمل ثلاثة ومشى أربعة من الحجر إلى الحجر، وكان ابن عمر يفعله وقد نوقش الرمل في الطواف من طرف الصحابة رضوان الله عليهم، فعن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : « سمعت عمر يقول فيم الرملان الآن وقد أطأ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله، وايم الله ما ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه ابن ماجة في سننه وسبب هذا الرمل يقول ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين أرادوا دخول مكة في عمرته بعد الحديبية:(إن قومكم غدا سيرونكم فليرونكم جلدا) رواه ابن ماجة في سننه.

يطوف الرسول صلى الله غعليه وسلم مضطبعا (والاضطباع هو إعراء منكبه الأيمن وجمع الرداء على الأيسر).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:(من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة) رواه ابن ماجة في سننه.

وكل بالركن اليماني سبعون ملكا إذا قال العبد: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا آمين. وعن أبي هريرة أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمان) رواه ابن ماجة . ويقول الرسول صلى اله عليه وسلم: (من طاف بالبيت سبعا ولم يتكلم إلا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله محيت عنه عشر سيئات ، وكتبت له عشر حسنات، ورفع له بها عشر درجات، ومن طاف فتكلم هو في تلك الحالة خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه). رواه ابن ماجة في سننه. ولما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من طواف البيت أتى مقام أبينا إبراهيم وصلى ركعتين، قال الله سبحانه وتعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) سورة البقرة / الآية 123 . ويمكن للحاج أن يطوف راكبا، (فعن أم سلمة أنها مرضت فأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تطوف من وراء الناس وهي راكبة ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يصلي إلى البيت وهو يقرأ (والطور وكتاب مسطور) رواه بن ماجة في سننه.

وعند الملتزم يدعو الحاج ويخلص لله في الدعاء ... لقد استلمه عمر ثم قام بين الحجر والباب فالتصق صدره وبدنه وخده إليه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل.

وتقضي الحائض كل المناسك إلا الطواف ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف أو قريبا من سرف حضت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، فقال: مالك أنفست؟ قلت: نعم، قال: إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي المناسك كلها غير أن لاتطوفي بالبيت.

إقامة الحدود

إعداد الاستاذ: العالم الفاضل
محمد بن عبد الله ملين

قال تعالى:"الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر"

وعن عائشة (ض) أن رسول الله (ص) قال : (أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب فقال أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

وله من وجه آخر عن عائشة قالت: كانت امرأة تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي (ص) بقطع يدها. وقال (ص):"أقيموا حدود الله في البعيد والقريب ولاتأخذكم في الله لومة لائم"رواه ابن ماجة عن عبادة بن الصامت.

وعن عائشة أن النبي (ص) قال: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" رواه أحمد وأبو داوود والنسائي والبيهقي.

وعن ابن عمر (ض) قال :قال رسول الله (ص): اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألم بها فليستتر بستر الله تعالى وليتب إلى الله تعالى فإنه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله تعالى. رواه الحاكم. وهو في الموطأ من مراسيل زيد بن اسلم وعن عبادة بن الصامت (ض) أن رسول الله (ص) قال وحوله جماعة من أصحابه بايعوني على أن لاتشركوا بالله ولا تسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا أولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولاتعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك. رواه البخاري.

انظر: ارشاد الخواص والعوام...

تتمة (ص:2)

وما لم يحقق الانسان هذه الغاية، فهو في خسر ونقص يعرضه للضلال والشقاء، إذ قال تعالى في سورة العصر: (والعصر، إن الانسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ويقول (ص) لابنته الكريمة: "إعملي يافاطمة، فإني لا أغني عنك من الله شيئا" وكثرت الآيات للتشجيع على العمل، إذ جاء في الآية الكريمة الكريمة: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة، فينبؤكم بما كنتم تعملون) سورة التوبة.

وهكذا اعتبر العمل في الاسلام الدعامة الاساسية التي يقوم عليها بناؤه بعد العقيدة والعلم، وعليها تشاد حضارته، وأنه لا إسلام للفرد ولا للجماعة إذا تجرد عن العمل.وأضافت المرأة واجبا آخر إلى واجباتها إلى جانب الرجل، وشجعها الاسلام على ذلك، وعملت منذ عهدها الأول بالاسلام في كل المجالات التي كانت متاحة لها. وقد جاءت الأدلة مؤيدة لذلك، إذ ثبت أن من الصحابيات من كن خياطات وتاجرات وصانعات ومدرسات، وكانت مولاتنا خديجة أول امرأة مسلمة لم يمنع عليها الرسول (ص) ممارستها للتجارة.وروى البخاري وأحمد عن الربيع عن بنت معوذقالت : "كنا نغزو مع رسول الله(ص)، نسقي القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة" وروى مسلم وأحمد وابن ماجة عن أم عطية الأنصارية قالت: "وغزوت مع رسول الله (ص) سبع غزوات.. أخلفهم في رجالهم، وأصنع لهم الطعام... وأداوي الجرحى".

وبعدما تقدم، نأتي إلى الدعامة الرابعة التي استكمل بها الاسلام قواعده، ألا وهي دعامة الاخلاق. وإنما الامم الأخلاق مابقيت. وهذه تتعدد فيها واجبات المرأة المسلمة إلى جانب أخيها. فالضعف طبيعة من طبائع النفس البشرية، فالانسان قد يستجيب للمؤثرات المتعارضة، ويتلون بألوان مختلفة، وما أكثر الآيات التي جاءت في القرآن الكريم لتعالج هذا النقص. قال تعالى في سورة النساء : (يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الانسان ضعيفا) وقوله في سورة يس (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة، فإذا هو خصيم مبين) والغريب أن هذا الذي رشحه الله من بين مخلوقاته لتحمل المسؤولية على أرضه،وهذا شرف مابعده آخر لبني الانسان لو يعلمون. قال تعالى في سورة الأحزاب: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الانسان، إنه كان ظلوما جهولا).

وهنا جاء دور الاسلام بتعديل هذا الوضع: وضع الظلوم: أي الذي شأنه أن يعدل ولايعدل، ووضع الجهول: أي الذي من شأنه أن يعلم ولايعلم. وهكذا كانت صفة العدل والعلم إجبارية في صفات المؤمن.

وكان لابد من ترسيخ هذه الأوصاف في المجتمع الاسلامي، وبالتالي كان للمرأة دورها الهام فيه بحكم وضعها الاجتماعي. ومن هذا المنطلق، حرص الاسلام على تحقيق هذه الغاية الخلقية، وجند لها كل السبل، ووفر لها كل الأجواء، والمقصود بها إيجاد عناصر قوية، وأفراد صالحين من أجل ترقية الحياة وإعلائها، وليكونوا أهلا لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة، وضع الاسلام معايير للمثل الأعلى للأفراد في الشرف والنزاهة، وعرفان الحق والواجب والاستمساك بأهداب الفضيلة، كما جعل معايير أخرى للمثل الأعلى للجماعة في التعاون، والإيثار، والمودة، والصدق، والاخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح.

وهذه هي إرادة الاسلام بالنسبة للأفراد والجماعات، قال(ص): "إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"، ويقول: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب" وقد رسم الله المنهج الخلقي للبشر، وأوضح معالمه، ودعا إليه، وهو في كتاب الله وسنة رسوله (ص)، ولايتحقق هذا المنهج إلا بالتربية الدينية، وهنا يتبلور دور المرأة من حيث أنها متعلمة، وتملك أدوات المعرفة، وليستقيم الأمر في دولة إسلامية لابد من سلامة دعامتين إثنين: سلامة أخلاقية تسود كل مجالات تعاملاتها وثقافتها وحضارتها وسلامة بيئتها.

فهناك إذن سلامة البيئة الاجتماعية، وسلامة البيئة المحيطة بهذه الحضارة.

وقد تمكنت الحضارة الاسلامية من تحقيق هذه المعادلة الصعبة التي عجزت عن تحقيقها الحضارات التي جاءت بعدها أو قبلها، والتي اكتفت بحضارة مادية تنقصها الأخلاق في كل شيء، في مجتمعها وفي بيئتها، وهي الآن تقيم الندوات والمؤتمرات لحل مشاكلها الاجتماعية ومشاكلها البيئية التي خلقتها والتي أصبحت عبئا ثقيلا على كوكبنا هذا.

ونحن الآن كبلاد إسلامية مازلنا نملك السبل للعودة إلى أسس حضارتنا السليمة مع تطويرها والاجتهاد فيها، ونستطيع خلق حضارة جديدة تأخذ بلب هذه الحضارة المادية وتطهرها من شوائبها، وإضافة الاخلاقيات الاسلامية إليها في كل مجال لاستخراج عالم جديد سليم ومسلم ومتطور، جاد ومتفائل، ولهذا يجب بذل المجهود الكبير، والعودة إلى أسس التعاون والجدية التي جاء بها الاسلام. ومن واجب المرأة (المتعلمة) المساهمة فيه، كما ساهمت دائما، والغاية من التربية الدينية، أن تتهذب نفس الانسان بالحق وبالخلق السليم وتتكامل ليستطيع القيام بواجباته نحو خالقه وإخوانه في الانسانية، ويحكم وينشر الخير بين الناس، قال (ص): "إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم) وتربية الضمير تكتسب بالتعليم والمران منذ الحداثة، وفي هذا يقول (ص): "إذا أراد الله بالعبد خيرا، جعل له واعظا من نفسه" رواه أبو منصور في مسند الفردوس.

ونتيجة لهذا التعليم الذي يعود لدور المرأة فيه الحظ الأكبر، تكبر الغرائز الحسنة في أفراد الأمة الاسلامية وتنمو المبادئ السامية، ويسمو العلم ويقدر، وتسود الأخوة بين مختلف فئات المجتمع الاسلامي، وأهمها ألا يجحد الغني حق الفقير، أو يدعه للبؤس، قال (ص): "ليس المؤمن الذي يبيت شبعان وجاره جائع، وهو يعلم" لأن غاية الاسلام هي تكوين مجتمع سليم وقوي يساعد بعضه بعضا، والقضاء على الفقر، فيذكر القرآن الكريم في معرض الحديث عن الزكاة في سورة التوبة: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين).

ولاستكمال سلامة هذا المجتمع، كان لابد له من بيئة سليمة تحيط به يحافظ عليها، وهنا أيضا يأتي دور المرأة المسلمة باعتبارها ربة الاسرة بإمكانها أن تساهم المساهمة الفعالة في حماية ونظافة البيئة العامة.

وهكذا، يتم الإيخاء، والاصلاح، والتعاون، فالكل عباد الله، والجميع متضامنين للخير ولتقوى الله وعبادته، قال تعالى:(الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروابالمعروف ونهوا عن المنكر)سورة الحج.

ونختم هذا الحديث بآية من سورة النحل، إذ قال تعالى فيها:

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) صدق الله العظيم.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 1006
السنة 36
الجمعة 28 ذو القعدة 1423 هـ
الموافق 7 فبراير 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد 1006 الجمعة 28 ذو القعدة 1423 هـ .الموافق 31 يناير 2003م

رأي شرعي في الاستنساخ

إعداد الدكتور: يوسف الكتاني

يمكن تعريف الاستنساخ حسب معلوماتنا الحالية بأنه زرع جينات شخصية لخلية أخرى من أجل استحداث كائن حي مشابه منقول عن المستنسخ عنه.

وقد أعلن أصحاب هذه العملية أنهم لايعترفون بخلق الله للخلق، وإنما الخليقة مصدرها كائنات فضائية أتت إلى أرضنا منذ آلاف السنين وهذا في حد ذاته إنكار لخلق الله وما جاء في الكتب السماوية.

وإذا كان الاستنساخ نجح في النبات وأنتج أصنافا متميزة منه تفيد الناس، فإن التجربة في الحيوان بولادة النعجة "دولي" أثبت بعض الفشل حيث أصابتها الشيخوخة مبكرا وهي في أول عهدها مما يعتبر خللا كبيرا فيها.

ثم عمدت أخيرا طائفة طبيعية ضالة بمساعدة مؤسسة كلونا بيد إلى إعلان استنساخ الطفلة حواء التي لانعرف حقيقتها . إلى الآن . ولامدى نجاح تجربتها مما يجعل الحكم عليها سابقا لأوانه.

ثم فوجئنا بعد أسبوع واحد من حواء إلى إعلان استحداث طفل ثان من أم هولاندية شاذة . سحاقية . من دون أب مما يعني أن عملية الاستنساخ البشري تغيير لخلق الله، وعمل سيؤدي إلى نوع من البشر ضعيف بالاخطاء، وربما لاستعماله هذا النوع المستنسخ لاغراض عسكرية، وقد أخذ الامر يتسع مع نمو ظاهرة العولمة واستفحالها ومحاولة التفرد بالسيطرة على العالم ومقدراته كما هو ثابت فعلا منذ بداية هذا القرن بشكل جلي.

نبادر إلى التأكيد أن الاستنساخ ليس خلقا كما ادعت العالمة الفرنسية التي أعلنت عن خلق "حواء" ذلك أن عملية الخلق يختص بها الله تعالى وحده دون غيره

ونبادر إلى التأكيد أن الاستنساخ ليس خلقا كما ادعت العالمة الفرنسية التي أعلنت عن خلق "حواء" ذلك أن عملية الخلق يختص بها الله تعالى وحده دون غيره، لأن الخلق يقتضي الايجاد من عدم خلافا للاستنساخ الذي يعتمد على أجزاء من مخلوقات الله حيث تنطلق العملية من: الخلية الحية . ونواة . وبويضة . مأخوذة من الانثى ورحم أنثى وفعل كهربي وكل ذلك يجعل قول العالمة الفرنسية "خلقنا"ادعاء زائفا وباطلا لأنه ليس خلقا ولا إنشاء من عدم.

وإذا كان العلماء وقادة العالم شجبوا عملية الاستنساخ باعتبارها تشويها لخلق الله، وعبثا بالحياة يؤدي إلى الفوضى في الانساب وإبطال حقيقة دور الرجل في الحياة من أجل ذلك بادروا إلى استصدار قرارات لوقف التجارب لاستنساخ الانسان خاصة التلاعب الذي يؤدي إليه الاستنساخ بإعطاء جينات من سيدات إلى أخريات دون علمهن مما يؤدي إلى الفوضى والتلاعب بالانساب.

لقد بنى الإسلام نظام الحياة، واستمرار الخليقة، وتواصل التناسل على طريق واحد هو طريق التزواج الشرعي بين ذكر وأنثى، لأنه يؤدي إلى التكامل بين الجنسين ويحقق المتعة وراحة النفس

لقد بنى الإسلام نظام الحياة، واستمرار الخليقة، وتواصل التناسل على طريق واحد هو طريق التزواج الشرعي بين ذكر وأنثى، لأنه يؤدي إلى التكامل بين الجنسين ويحقق المتعة وراحة النفس.

وينتج ذرية قوية طبيعية كاملة متناسقة، تؤدي دورها في الحياة تحقيقا لامر الله بعواطفها الطبيعية وداوفعها النبيلة، هذا بخلاف الاستنساخ الذي سيؤدي لا محالة وكما ثبت في تجربة "دولي" وكما سيتضح في حواء أنه سينتج نسخا ضعيفة مليئة بالخلل لايعرف لها أصل ولانسب، إضافة إلى ما ستؤدي إليه من حالات نفسية وصحية واجتماعية ستجعل من المنتسخين مخلوقات ضعيفة منحرفة نفسيا، وغير مستقرة لا محالة كما ثبت بالتجربة مع الأولاد الطبيعيين في أوربا وأمريكا سابقا.

وهكذا وعند الموازنة بين المنافع التي حاول تعدادها المناصرون للاستنساخ، وبين المفاسد التي أبانها المعارضون له، والتي فاقت بكثير تلك المنافع مما يجعلنا نحكم القاعدة الشرعية في الموضوع: بأن مايغلب ضرره على نفعه فإن الدين يحرمه ليحمي الناس، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما هو مشهور والله أعلم.

"وضرب لنا مثلا ونسي خلقه"

قرأت في أحد الصحف مقالا ينادي بالكف عن عبادة الأوثان، إلى رفع اليد عن الحضارة والثقافة والدين، منتهيا إلى التساءل عن قيمة فتوى ترسيخ عقيدة قدرة الله على فعل كل شيء، ضاربا له مثلا مما يشاهد، ناسيا أن الله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار، وانه قدر الأقوات والأعمار ودبر كل ما في الوجود قال تعالى :"وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عظيم" سورة يس/الآية:79.78.

فالمفتي الذي يقول بقدرة الله على فعل كل شيء لم توقف فتواه كسب الناس ولاصلاحهم، أو طلاحهم، ولكنها تعمل على استجلاء الحقيقة لمن على بصيرته غشاوة من الجهل أو الضلال، وتوقض الغافلين والضالين علهم يعودوا إلى جادة الصواب، أو يجيب عن حاجة مستشكلة يراد معرفة حكم الله فيها من ذوي الاختصاص، وإذا كان كاتب المقال قد أعمته النعرة الاثنية وأطاحت به أمواج التبعية مما جعله يخبط خبط عشواء فلا يفرق بين الذي يدعو إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والذي يقول بتحقيق العدالة المطلقة عن طريق السلاح ووسائل الدمار الشامل المسلط على المستضعفين، وهو فهم كما اثبت التاريخ لايخدم قضية ولايلغي حقيقة، وإنما هو سفه وادعاء بغير علم.

قال تعالى "أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يحيي الموتى بلى، إنه على كل شيء قدير"سورة الأحقاف/الآية:33.

وإذا كان قديما قيل بأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، فذلك ما وقع فيه المتحامل على المفتين وعلماء الشريعة فوقع في سوء تقديره، وما كان المفتون أبدا شاكين في عقيدة الإسلام في الحلال والحرام، وإنما هو حملة أقلام وشراح رسالة، فمن أراد الهداية ومعرفة سبيلها لتبين سبل الحلال وتجنب مواطن الحرام التجأ إليهم مثلما يفعل المريض مع الطبيب، فإذا كان الطبيب لايحاسب على مآل الوصفة التي يعطيها للمريض إذا ما استخدمت في غير ماقدمت من أجله، فكذلك المفتي لايحمل قوله خارج ماقصد إليه، ولايتجاوز رأيه إلا ماسواه، بدعوى عدم ملاءمته للرغبات والأهواء أو صعوبة التنفيذ، إذ لو ترك المريض. بفعل بالدواء مايحب ماتجرعه ولا عوفي من أدواءه.

فإرجاع أي قصور مجتمعي أو أخلاقي أو اقتصادي، إلى فتاوي العلماء، ورأيهم في الناس ومناشطهم ليس تجنبا فقط على المفتين، وإنما هو قصور معرفي بمكنزمات الأدوار والعلاقات والبنى التي تتحكم في صيرورة الأمة وتطور المجتمع..."فسبحانه الذي بيده ملكوت كل شيءواليه ترجعون"سورة يس/الآية:83.